على مائدة العقيدة

٩

الزيارة

في الكتاب والسنة

تحليل لمفهوم الزيارة وآثارها وأحكامها

جعفر السبحاني



www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الزیاره فی الکتاب و السنه

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : الزیاره فی الکتاب و السنه : تحلیل لمفهوم الزیاره و آثارها و احکامها/ جعفر السبحانی مشخصات نشر : [تهران : نشر مشعر، ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴.
مشخصات ظاهری : ص ۸۸
فروست : (علی مائده العقیده۹)
شابک : بها: ۱۳۰۰ریال ؛ بها: ۱۳۰۰ریال وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : زیارت -- آداب و رسوم موضوع : زیارت -- آداب و رسوم -- احادیث رده بندی کنگره : BP۲۶۲/س۲ز۹
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۷۶
شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۸۲۵۳
ص: 1

اشارة

ص: 2

ص: 3

تمهيد

اشارة

قال اللّه تبارک وتعالی:
«وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولَ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً». النساء/ 64
وقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم:
«زوروا القبور فإنّها تُذکّر الآخرةَ». ابن ماجة، السنن، ح 1569
وقال النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم:
«مَن زارَ قبری وجبتْ له شفاعتی». الدارقطنی 2: 278

بسم اللَّه الرحمن الرحيم
وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل
والحمد للَّهربّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد رُسُله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدةِ الصحيحة لأنّها تشكّل حجر الزاوية فى سلوكهم ومناراً يضىءُ دروبهم وزاداً لمعادهم.
ولهذا كرّسَ رسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فى الفترة المكيّة من حياته الرسالية نفسه لإرساء أُسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرک والوثنية، ثم بنى عليها فى الفترة المدنية صَرحَ النظامِ الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسىّ.
ولهذا- ونظراً للحاجةِ المتزايدة- رأينا أن نقدّم للأُمةِ الإسلاميّة الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدَّةٍ من كتاب اللَّهِ العزيز، والسُنّةِ الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتَّفق عليه علماءُ الأُمةِ الكرام، واللَّه الموفِّق.
معاونيّة التعليم والبحوث الإسلاميّة

الاسلام دين الفطرة

عندما نقول إنّ الاسلام دين الفطرة فهذا لا يعنى أنّ كل حكم جزئىّ منه يوافقها، بل يعنى أنّ الاُصول الكلّية فى مجالى العقائد والشريعة، تنسجم مع الفطرة وتوحى إليها بشكل واضح، ولذلک كانت تعاليم الانبياء، وفى مقدَّمتهم الشريعة الاسلامية، تثير مكنون الفطرة، لذا فهم قبل أن يكونوا معلِّمين كانوا مذكِّرين بما أودع الله سبحانه فى فطرة الانسان من ميولات نحوَ العبودية لله سبحانه، والانشداد إلى ما وراء الطبيعة، والجنوح إلى العدل ومكارم الاخلاق، والنفور عن الظلم ومساوئ العادات. فكأنَّ الفطرة أوّلُ مدرسة يتعلّم فيها الانسان أصولَ المعارف ومكارمَ الاخلاق وآدابها، من دون معلِّم، وهذا لطف وامتنان منه سبحانه لعباده ويعدّ الحجرَ الاساس لسائر الهدايات الالهية الواصلة إليهم عن طريق أنبيائه ورسله.

وإلى ذلک يشير قوله سبحانه: (وَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ

يَعْلَمُونَ) (الروم/30) فإنّ المراد من الدين فى الاية مجموع العقيدة والشريعة، كما فسّره به مشاهير المفسّرين، وكلمة (فِطْرَتَ اللهِ) التى نصبت على الاختصاص تفسير للدين، فالدين ـ بتمام معنى الكلمة ـ يوافق فطرة الانسان، بالمعنى الذى عرفت، أى أنّ أصوله وكلّياته تنسجم مع الفطرة وليست الاية وحيدة فى بابها بل لها نظائر فى الذكر الحكيم تؤكّد مضمونها، وتثبت بوضوح كون معرفة المحاسن والمساوئ والفجور والتقوى والميل إلى الفضائل، والانزجار عن الرذائل أمراً فطرياً إلى حدّ يقول سبحانه: (وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس/8) وفى آية أخرى: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ا وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ا وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد/8 ـ 10).
فالانسان الطبيعى الذى لم يتأثّر بالمناهج البشرية، يدرک المحاسن والمساوئ، والفجور والتقوى والخير والشر، كرامة من الله سبحانه إليه.
ومن روائع الكلم ما روى عن الامام علىّ (عليه السلام) حول تحديد دعوة الانبياء وأنّ دورهم فى مجال التربية تذكيرهم بمقتضيات الفطرة. يقول(عليه السلام):
«فبعثَ الله فيهم رُسُلَه، وواتر إليهم أنبياءه، لِيستَأدوهم ميثاقَ فطرته ويُذكِّروهم منسىَّ نعمتِه، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويُثيروا لهم دفائنَ العقول»(1) .

1- نهج البلاغة، الخطبة الاولى.

فالشرائع السماوية كأنّها تستنطِق الفطرة وتُذكِّر بالنعمة المنسية بفعل الاهواء والدعايات الباطلة، وقد أُمر حملتها بإثارة ما دفن فى فطرة الانسان من جواهر المعقولات فى مجالى العقيدة والشريعة.
وعلى ذلک فالشريعة ـ وفقَ الفطرة ـ مصباح ينير الدرب لكلّ ساعٍ فى طلب الحقّ. وكلّ فكرة أو ميل، توحى إليهما الفطرة فهو آية كونه حقّاً، وكلّ فكرة أو جنوح، يناقض الفطرة وترفضهما فهو آية كونه باطلاً. ولاجل ذلک تخلينا عن الرهبانية والتعزّب ووأد البنين والبنات لانها تخالف مقتضى الفطرة.
إنّ البحث فى كون الشريعة الالهية شريعة فطرية، يتطلّب مجالاً واسعاً لما يترتّب على البحث من نتائج مشرقة تعين على حل مشاكل أثارها خصوم الاسلام فى مجال خاتمية الشريعة الاسلامية، حيث إنّهم يرفضون كون الدين ديناً خاتماً، بزعمهم أنّ الحياة الانسانية حياة متغيّرة ومتحوّلة فكيف يمكن تدبير المجتمع المتغيّر، بقوانين ثابتة جامدة؟
ولكنّهم لعدم معرفتهم بحقيقة الشريعة الاسلامية، غفلوا عن أمر هام، وهو أنّ المتغيّر فى الحياة الانسانية هو القشر، لا اللبّ، وإلاّ فالانسان بما له من غرائز وميول علوية وسفلية لم يتغيّر ولن يتغيّر، وبهذه الميزة والخصوصية هو محكوم بالقوانين الثابتة.
فالانسان القديم كان يُحبُّ العدلَ وينفر من الظلم ويميل إلى الزواج والحياة الاجتماعية وهكذا الانسان فى العصر الحاضر، إذن فالقانون فى حقهما سواء وإن تغيّرت أجواء الحياة وقشورها ولباسها وظواهرها.

ص: 9

إنّ زيارة الانسان لقبر حبيبه ومن كانت له به صلة روحية أو مادّية، هى ممّا تشتاق إليه النفوس السليمة، فكلّ من يعيش تحت السماء باسم الانسان السويّ اذا فارقَ أحبّته وأقرباءه، لا يقطع علاقته بمن شغف قلبه حبّاً، بل هو على حبّه باق، ويريد أن يُجسِّد محبَّته وشوقه بصور مختلفة، فهو تارةً يأوى إلى آثار حبيبه ورسوم داره وأطلاله فيحتفظ بألبسته وأثاثه وقلمه وخطوطه، ولا يكتفى بذلک بل يحاول أن يزور قبره وتربته حيناً بعد حين. كلّ ذلک بباعث ذاتى من صميم خلقته، فلا يصحّ لدين أسُّه الفطرة أن يخالفه أو يمنعه من وصل أحبّائه وتعاهدهم.

لكن للاسلام أن يحدّدها ويذكر آدابها ويمنع عن بعض الامور غير الدخيلة فى صميمها، لكن ليس فى وسعه بما أنّه مناد لدين الفطرة أن يقوم بقطع العلائق مع الاحبّة بتاتاً.

وعلى ضوء ذلک ترى أنّ السنّة حثّت على زيارة القبور وذكرت آثارها البنّاءة، ولو منعت فى فترة خاصّة ـ لو صحّ المنع ـ فإنّما هو لمانع عن تطبيق الحكم وتنفيذه كما سيظهر لک.

هذا هو أصل الزيارة، وقضاء الفطرة على وفقه.

مضافاً إلى ذلک فلها آثار تربويّة وهى ما يلى:

ص: 10

إنّ زيارة القبور تنطوى على آثار تربوية، وأخلاقية وذلک لانّ مشاهدة المقابر التى تضمُّ فى طياتها مجموعة كبيرة من الذين عاشوا فى
هذه الحياة الدنيا، وكانوا بمكان عال من القدرة والسلطة، ثمّ انتقلوا إلى الاخرة، تؤدّى إلى الحدّ من روحِ الطمع، والحرص على الدنيا، وربّما تُغيّر سلوک الانسان لما يرى أنّ المنزل الاخير لحياته إنّما هو بيت ضيّق ومظلم باق فيه إلى ما شاء الله، فعند ذلک ربما يترک المظالم والمنكرات ويتوجّه إلى القيم والاخلاق.
وإلى هذا الجانب من الاثر التربوى يشير النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله)ويقول:
«كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنّها ترقُّ القلوب، وتدمعُ العين وتذكِّر الاخرة، ولا تقولوا هجراً»(1) .
وفى لفظ آخر: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور فإنّها تزهّد فى الدنيا»(2) . وفى لفظ ثالث: «وتُذكّر الاخرة» (3) .
وعن أبى هريرة أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) زار قبر أُمّه ولم يستغفر لها. قال: «أمرتُ بالزيارة ونُهيت عن الاستغفار فزوروا القبور، فإنّها تذكّر الموت»(4) .
وعنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «زوروا القبور فإنّها تذكّركم الاخرة»(5) .

1- المتقى الهندى، كنز العمال : ج15، الحديث 42555 و 42998.
2- كنز العمال 15 : الحديث 42552.
3- ابن ماجة، السنن 1 : 501 ح1571.
4- مسلم، الصحيح 2 : 671 ح108 ـ أحمد بن حنبل، المسند 1 : 444 ـ ابن ماجة، السنن 1 : 676 ـ أبو داود، السنن 2 : 72 ـ البيهقى، السنن 4 : 76 ـ النسائى، السنن 4 : 90 ـ الحاكم، المستدرک 1 : 376.
5- ابن ماجة، السنن 1 : 500 ح1569.

ويظهر من بعض الروايات أنّ النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) نهى يوماً عن زيارة القبور ثمّ رخّصها وكان النهى والترخيص من الله سبحانه.
ولعلّ النهى كان بملاک أنّ أكثر الاموات يومذاک كانوا من المشركين، فنهى النبىّ (صلى الله عليه وآله) عن زيارتهم ولمّا كثر المؤمنون بينهم رخّص بإذن الله.
ولعلّ النهى كان بملاک آخر وهو أنّ زيارة القبور تُذكّر الموتى والقتلى وتورث الجبن عن الجهاد، وإذ قوى الاسلام رخّص الزيارة(1).
وعن أمّ سلمة عنه (صلى الله عليه وآله): «نَهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّ لكم فيها عِبرة»(2) .

قد تعرّفت على الاثار التربوية لزيارة قبور المسلمين، وهنا آثار تختصّ بزيارة أكابر المسلمين ورؤسائهم، وفى طليعتهم زيارة النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله) وهى: أنّ فى زيارتهم نوعاً من الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلاماً للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الَّذين يسلكون طريقَ الحقّ والهدى والدفاع عن المبدأ والعقيدة.
ولاجل هذا الاثر الممتاز لزيارة صُلحاء الاُمة، نجد أنّ الاُمم الحيّة تتسابق على زيارة مدفن رؤسائهم وشخصيّاتهم، الّذين ضحّوا بأنفسهم

1- الجناحى النجفى : منهج الرشاد : 144.
2- المتقى الهندى، كنز العمال 15 : 647 ح42558.

وأموالهم فى سبيل إحياء الشعب واستقلاله من أيدى المستعمرين والظالمين، ويقيمون الذكريات المئوية لاحياء معالمهم، ويعدّونه تعظيماً وتكريماً لاهدافهم.
وهذا هو العالم بغربه وشرقه، فيه قبور وأضرحة لشخصيّاته وعظمائه وصلحائه من غير فرق بين دينى ودنيوى، لانّ الانسان يرى زيارتهم تكريماً لهم وتأدية لحقوقهم ووفاءً لعهدهم، فكلّ ما يقوم به فهو بوحى الفطرة ودعوتها إلى ذلک.
إنّ القبور التى تحظى باهتمام واحترام المؤمنين بالله فى العالم ـ وخاصة المسلمين ـ هى فى الغالب قبور حملة الرسالات الاصلاحيّين الذين أدّوا مهمّتهم على الوجه المطلوب.
وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:
1 ـ الانبياء والقادة الدينيّون الذين حملوا على عاتقهم رسالة السماء وضحّوا ـ من أجلها ـ بالنفس والمال والاحباب، وتحمّلوا أنواع المتاعب والمصاعب من أجل هداية الناس.
2 ـ العلماء والمفكّرون الذين كانوا كالشّمعة تُحرقُ نفسها لتضىء للاخرين، وقد عاش هؤلاء حياة الزهد والحرمان، وقدّموا للعالم، البحوثَ القيّمة والتحقيقات الرائعة فى مجالات العلم والفكر والطبيعة ومفاهيم السماء وعلوم الكون والمخلوقات وغير ذلک.
3 ـ المجاهدون الثائرون الذين ضاقوا ذرعاً بما يعيشه المجتمع من الظلم وسحق الحقوق والتمييز العنصرى أو القومى، فثاروا ضدّ الظلم والطغيان وطالبوا بحفظ كرامة الانسان وأداء حقوقه، وأقاموا

صرح العدالة بدمائهم الغالية.
إنّ أيّة ثورة أو تغيير اجتماعى لا يُقدَّر له النجاحُ إلاّ بدفع الثمن، وإنّ ثمن الثورة التى تستهدف تدمير قصور الظالمين، وخنق أنفاسهم هو الدماء الزكية التى يُضحّى بها المقاتلون الابطال لاعادة الحقّ والحرّية إلى الوطن الاسلامى.
إنّ الناس يزورون قبور هؤلاء ويذرفون عندها الدموع، ويتذكّرون بطولاتهم وتضحياتهم، ويُسعدون أرواحهم بتلاوة آيات من القرآن الحكيم هديّة إليهم، وينشدون قصائد فى مدحهم وثنائهم وتقدير مواقفهم المشرقة.
إنّ زيارة مراقد هذه الشخصيات هى نوع من الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلام للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الذين يسلكون طريقَ الحقّ والهدى والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة.
إنّ جزاءهم هو خلود الذكر الحسن والثناء الجميل، بالرغم من مرور الزمان على وفاتهم، وتعريفُ الناس بتلك الشخصيات الراقية وبمعتقداتهم التى ضحّوا من أجلها، واحترام مراقدهم وتجنّب كلّ ما يمسّ بكرامتها، لانّ احترام قبورهم احترام لرسالاتهم وعقائدهم، كما أنّ أىّ نوع من الاهانة والتحقير تجاه مراقدهم هو فى الحقيقة إهانة لرسالاتهم وتحقير لشخصيّتهم.
ثمّ إنّ لبعض أهل المعرفة تحليلاً علمياً رائعاً فى زيارة النبى الاكرم نذكره بنصّه قال:
إعلم أنّ النفوس القوية القدسية، لا سيّما نفوس الانبياء

والائمة(عليهم السلام)، اذا نفضوا أبدانهم الشريفة وتجرّدوا عنها، وصعدوا إلى عالم التجرّد، وكانوا فى غاية الاحاطة والاستيلاء على هذا العالم يكون العالم عندهم ظاهراً منكشفاً، فكلّ من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطّلعون عليه، لا سيّما ومقابرهم مشاهدُ أرواحهم المقدّسة العلية، ومحالّ حضور أشباحهم البرزخيّة النورية، فإنّهم هناک يشهدون (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران/169)، وبما آتاهم الله من فضله فرحون، فلهم تمامُ العلم والاطّلاع بزائرى قبورهم، وحاضرى مراقدهم وما يصدر عنهم من السؤال والتوسّل والاستشفاع والتضرّع، فتهبّ عليهم نسماتُ ألطافهم، وتفيض عليهم من رشحات أنوارهم، ويشفعون إلى الله فى قضاء حوائجهم، وإنجاح مقاصدهم، وغفران ذنوبهم وكشف كروبهم.
فهذا هو السرفى تأكّد استحباب زيارة النبىّ والائمة (عليهم السلام) مع ما فيه من صلة لهم. وبرّهم وإجابتهم، وإدخال السرور عليهم، وتجدّد عهد ولايتهم، وإحياء أمرهم، وإعلاء كلمتهم، وتنكيت أعدائهم. وكلّ واحد من هذه الاُمور ممّا لا يخفى عظيم أجرُهُ وجزيل ثوابه.
وكيف لا تكون زيارتُهم أقربَ القربات، وأشرفَ الطاعات، ومع أنّ فى زيارة المؤمن ـ من جهة كونه مؤمناً فحسب ـ عظيم الاجر وجزيل الثواب، وقد ورد به الحثّ والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة، ولذلک كثر تردّد الاحياء إلى قبور أمواتهم للزيارة، وتعارف ذلک بينهم، حتى صارت لهم سنّة طبيعية.
وأيضاً قد ثبت وتقرّر جلالة قدر المؤمن عند الله، وثوابُ صلته

وبرّه وإدخال السرور عليه. وإذا كان الحال فى المؤمن من حيث إنّه مؤمن، فما ظنّک بمن عصمه الله من الخطأ، وطهّره من الرجس، وبعثه الله إلى الخلائق أجمعين، وجعله حجّة على العالمين، وارتضاه إماماً للمؤمنين، وقدوة للمسلمين ولاجله خلق السماوات والارضين، وجعله صراطه وسبيلَه، وعينه ودليله، وبابه الذى يُؤتى منه، ونورَه الذى يستضاء به، وأمينَه على بلاده، وحبله المتّصل بينه وبين عباده، من رسل وأنبياء وأئمة وأولياء(1) .
وفى الختام نقول: ليس الهدف من هذا التقديم تصويبَ بعض ما يقع عند الزيارة من محرّمات الافعال فإنّها أُمور جانبيّة لاتمتّ لاصل الزيارة بصلة، والذى ندّعيه وعليه يشهد عمل العقلاء فى العالم دينهم وغيره، أنّ للانسان علاقة بمن كان يعشقه ويحبّه فلا يقطع علاقته به بموته بل يحتفظ بها بشكل خاص بعد الفراق أيضاً، وهذا شىء يلمسه الانسان من صميم ذاته وليس لشريعة سماوية بما أنّها تجاوب الفطرة تمنعه من ذلک، بل لها أن تعدله وتحدّده وتعزل ما ليس منه عنه.
وها نحن نعالج الموضوع بالبحث فى الاُمور التالية:
1 ـ زيارة القبور فى الكتاب والسنّة النبوية.
2 ـ أعلام الاُمة وزيارة النبى الاكرم.
3 ـ زيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله) فى الكتاب.
4 ـ زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) فى السنّة.
5 ـ شدّ الرحال إلى زيارة قبر النبىّ الاعظم.
6 ـ شبهات وتشكيكات حول زيارة النبىّ الاكرم.
7 ـ خاتمة: تذكرة وإنذار.

1- محمد مهدى النراقى، جامع السعادات 3 : 398 و 399.

ص: 16

1ـ زيارة القبور فى الكتاب والسنّة

اشارة

قد عرفت أنّ زيارة الانسان لمن له به صلة روحية أو مادية، ممّا تشتاق إليه النفوس السليمة، بل هى من وحى الفطرة، ولاجل ذلک نرى أنّ الكتابَ والسنّة يدعمان أصلَ الزيارة بوجه خاص.
أمّا الكتاب فقوله سبحانه: (ولا تُصَلِّ عَلى أحَد مِنْهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولهِ وماتُوا وهَم فاسِقُونَ) (التوبة/84).
إنّ الاية تسعى لهدم شخصية المنافق، وهزّ العصا فى وجوه حزبه ونظرائه.
والنهى عن هذين الامرين بالنسبة إلى المنافق، معناه ومفهومه مطلوبية هذين الامرين (الصلاة والقيام على القبر) بالنسبة لغيره أى للمؤمن.
والان يجب أن ننظر فى قوله تعالى: (ولا تَقُم عَلى قَبره) ما

معناه؟
هل المعنى هو القيام وقت الدفن فقط، حيث لا يجوز ذلک للمنافق ويستحب للمؤمن، أو المعنى أعم من وقت الدفن وغيره؟
إنّ بعض المفسّرين وإن خصّوا القيامَ نفياً وإثباتاً بوقت الدفن لكن البعض الاخر فسروه فى كلا المجالين بالاعم من وقت الدفن وغيره.
قال السيوطى فى تفسيره: ولا تَقم على قبره لدفن أو زيارة(1).
وقال الالوسى البغدادى: ويفهم من كلام بعضهم أنّ «على» بمعنى «عند» والمراد: لاتقف عند قبره للدفن أو للزيارة(2) .
وقال الشيخ إسماعيل حقّى البروسى: (ولاتَقُم على قبره) أى ولا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء(3) .
إلى غير ذلک من المفسرين، وقد سبقهم البيضاوى فى تفسيره(4) .
والحقّ مع من أخذ بإطلاق الاية وإليک توضيحه:
إنّ الاية; تتشكل من جملتين:
الأُولى:
قوله تعالى: (ولا تصلّ على أحد منهم ماتَ أبداً) .
إنّ لفظة «أحد» بحكم ورودها فى سياق النفى تفيد العموم

1- السيوطى، تفسير الجلالين: سورة التوبة فى تفسيره الاية.
2- الالوسى البغدادى، روح المعانى 10 : 155.
3- البروسى، روح البيان 3 : 378.
4- البيضاوى، أنوار التنزيل 1 : 416، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

والاستغراق لجميع الافراد، ولفظة «أبداً» تفيد الاستغراق الزمنى، فيكون معناها: لا تصل على أحد من المنافقين فى أىّ وقت كان.
فمع الانتباه إلى هذين اللّفظين نعرف ـ بوضوح ـ أنّ المراد من النهى عن الصلاة على الميّت المنافق ليس خصوص الصلاة على الميت عند الدفن فقط، لانّها ليست قابلة للتكرار فى أزمنة متعدّدة، ولو أُريد ذلک لم تكن هناک حاجة إلى لفظة «أبداً»، بل المراد من الصلاة فى الاية مطلق الدعاء والترحّم سواء أكان عند الدفن أم غيره.
فإن قال قائل: إنّ لفظة «أبداً» تأكيد للاستغراق الافرادى لا الزمانى.
فالجواب بوجهين:
1 ـ انّ لفظة «أحد» أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين بوضوح فلا حاجة للتأكيد.
2 ـ انّ لفظة «أبداً» تستعمل فى اللّغة العربية للاستغراق الزمانى، كما فى قوله تعالى: (وَلا أنْ تَنكِحُوا أزواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً) (الاحزاب/53).
فالنتيجة أنّ المقصود هو النهى عن الترحّم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء أكان بالصلاة عليه عند الدفن أم بغيرها.
الثانية:
(ولاَ تقُمْ عَلى قَبْرِهِ) إنّ مفهوم هذه الجملة ـ مع الانتباه إلى أنّها معطوفة على الجملة السابقة ـ هو: «لا تَقُم على قبر أحد منهم مات أبداً» لانّ كل ما ثبت للمعطوف عليه من القيد ـ أعنى «أبداً» ـ يثبت للمعطوف أيضاً، ففى هذه الحالة لا يمكن القول بأنّ المقصود من

القيام على القبر هو وقت الدفن فقط، لانّ المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، كما كان بالنسبة للصلاة، ولفظة «أبداً» المقدّرة فى هذه الجملة الثانية تفيد إمكانية تكرار هذا العمل، فهذا يدل على أنّ القيام على القبر لايختصّ بوقت الدفن.
وإن قال قائل: إنّ لفظة «أبداً» المقدّرة فى الجملة الثانية معناها الاستغراق الافرادى.
قلنا: قد سبق الجواب عليه، وأنّ لفظة «أحد» للاستغراق الافرادى، لا لفظة «أبداً» فهى للاستغراق الزمانى.
فيكون معنى الاية الكريمة: أنّ الله تعالى ينهى نبيه (صلى الله عليه وآله) عن مطلق الاستغفار والترحّم على المنافق، سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده.
ومفهوم ذلک هو أنّ هذين الامرين يجوزان للمؤمن.
وبهذا يثبت جواز زيارة قبر المؤمن وجواز قراءة القرآن على روحه، حتى بعد مئات السنين.
هذا بالنسبة إلى المرحلة الأُولى وهى أصل الزيارة من وجهة نظر القرآن، وأمّا بالنسبة إليها من ناحية الاحاديث فإليک بيانها:

إنّ النبيّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) جسّد بعمله مشروعية زيارة القبور ـ مضافاً إلى أنّه أمر بها كما مرّ ـ وعلّم كيفيتها وكيف يتكلّم الانسان مع الموتى، فقد ورد فى غير واحد من المصادر، أنّه (صلى الله عليه وآله) زار البقيع، وإليک

النصوص:
1 ـ روى مسلم عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) كلّما كان ليلتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللّهمّ اغفر لاهل بقيع الغرقد»(1) .
2 ـ وعن عائشة فى حديث طويل أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) قال لها: «أتانى جبرئيل فقال: إنّ ربّک يأمرک أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ورحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»(2) .
3 ـ وروى ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: ـ فى رواية أبى بكر ـ «السلام على أهل الديار» وفى رواية زهير: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية»(3) .
4 ـ عن ابن بريدة عن أبيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(4) .
5 ـ وروى فى كنز العمال الروايات التالية: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. ووددتُ أنّا قد أُرينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانک؟ قال: بل أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. إلخ»(5).
6 ـ «السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين، يغفر

1- مسلم، الصحيح 7 : 41.
2- مسلم، الصحيح 7 : 44 ـ النسائى، السنن 4 : 91.
3- مسلم، الصحيح 7 : 45.
4- مسلم، الصحيح 7 : 46 ـ الترمذى، السنن 3 : 370 ح 1054 ـ النسائى، السنن 4 : 89.
5- مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، الحديث 249.

الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالاثر»(1) .
7 ـ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا وإياكم متواعدون غداً ومتواكلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللّهم اغفر لاهل بقيع)الغرقد» (2).
8 ـ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط وإنّا بكم لاحقون، اللّهمّ لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم» (3).
9 ـ «إنّى نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها بتذكيركم زيارتها خيراً» (4).
10 ـ «نهيتكم عن ثلاث وأنا آمركم بهنّ; نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّ فى زيارتها تذكرة»(5) . إلى غير ذلک من الاثار النبوية الحاثّة على زيارة القبور، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى كنز العمال.

1- علاء الدين، كنز العمال 15: 247 الحديث 42561 و 42562.
2- علاء الدين، كنز العمال 15: 247 الحديث 42561 و 42562.
3- علاء الدين، كنز العمال 15: 248، الأحاديث 42563 و 42564 و 42565.
4- علاء الدين، كنز العمال 15: 248، الأحاديث 42563 و 42564 و 42565.
5- علاء الدين، كنز العمال 15: 248، الأحاديث 42563 و 42564 و 42565.

ص: 22

2ـ أعلام الأُمة و زيارة قبر النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله)

اشارة

إذا كانت زيارة قبور المسلمين من السنن التى دعا إليها النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) وعمل بها بمرأى ومسمع من نسائه وصحابته، فزيارة قبر سيد ولد آدم ومن أنيطت إليه سعادة البشر أولى بها، لذا جرت سيرة المسلمين على زيارة قبره، وصرّح بها فقهاء الأُمة، وتضافرت السنّة على استحبابها.

ولنقدّم بعض الكلمات من أكابر الأُمة التى تعرب عن موقف المسلمين طيلة القرون تجاه المسألة، فقد قيّض سبحانه فى كلّ عصر رجالاً يجاهرون بالحقّ، وينفون غبار الباطل عن وجهه نذكر منهم شخصيتين كبيرتين من السنّة والشيعة:

1 ـ الامام تقى الدين السبكى الشافعى المتوفّى سنة 567 هـ عليه سحائب الرحمة والرضوان فقد خصّ فى كتابه «شفاء السقام فى زيارة

خير الانام» باباً لنقل نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله، وقد بيّن أنّ الاستحباب أمر مجمع عليه بين المسلمين(1) .
2 ـ العلاّمة الكبير الامينى فى الغدير الجزء 5 / 109 ـ 512، فقد استدرک عليه بما لم يقف عليه الامام السبكى، ونقل كلمات أعلام المذاهب الاربعة بما يتجاوز الاربعين كلمة. شكر الله مساعيهما.
وقد راجعنا أكثر المصادر التى نقلا عنها حسب ماحضرنا منها. واكتفينا بالنقل عنهما فى غيره، وأضفنا بعض ما فات عنهما. ولعل المعثور عليه من الكلمات أقل مما لم يُعثر عليها.

كلمات أعلام المذاهب حول الزيارة

1 ـ قال أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى الجرجانى الشافعى (م/034هـ) بعد الحث على تعظيم النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله): فأمّا اليوم فمن تعظيمه زيارته(2) .
2 ـ قال أبو الحسن أحمد بن محمد المحاملى الشافعى (م/524هـ): ويستحب للحاجّ إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله) (3) .
3 ـ قال القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى (م/045هـ): ويستحب أن يزور النبى (صلى الله عليه وآله) بعد أن يحجّ ويعتمر(4) .

1- السبكى، شفاء السقام : 65 ـ 79 ونحن نغترف من هذا العين المعين ونذكر كلمات المحققين من أهل السنة حول زيارة النبى صلى الله عليه وآله.
2- المنهاج فى شعب الايمان، كما فى شفاء السقام : 65.
3- التجريد، كما فى شفاء السقام : 65.
4- نقله عنه السبكى فى شفاء السقام : 65.

4 ـ قال أقضى القضاة أبو الحسن الماوردى (م/045هـ): فإذا عاد (ولى الحاج) سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)ليجمع لهم بين حج بيت الله عزّ وجلّ وزيارة قبر رسول الله رعاية لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلک وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الجميع المستحسنة(1) .
وقال أيضاً فى كتابه الحاوى: أمّا زيارة قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله) فمأمور بها ومندوب إليها(2) .
5 ـ حكى عبد الحقّ بن محمد الصقلى (م/466هـ) عن الشيخ أبى عمران المالكى أنّ زيارة قبر النبى واجبة، قال عبد الحقّ: يعنى من السنن الواجبة(3) .
6 ـ قال ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازى الفقيه الشافعى (م/674هـ): ويستحب زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)(4) .
7 ـ وممّن بسط الكلام فى زيارة النبى الاكرم (صلى الله عليه وآله) الامام الغزالى فى كتاب الحج من إحياء العلوم قال: الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها قال: من زارنى بعد وفاتى فكأنّما زارنى فى حياتى. وقال (صلى الله عليه وآله): «من وجد سعة ولم يَفِد إلىَّ فقد جفانى» إلى أن قال: فمن قصد زيارة المدينة فليصلّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على

1- الاحكام السلطانية : 109، دار الفكر، بيروت.
2- الحاوى، كما فى شفاء السقام : 65.
3- تهذيب الطالب، كما فى شفاء السقام : 68.
4- المهذب فى فقه الامام الشافعى 1 : 233، دار الفكر، بيروت.

حیطان المدینة وأشجارها قال: اللّهمّ هذا حرم رسولک فاجعله لی وقایة من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب، ثم ذکر آداب الزیارة وصیغتها، کما ذکر زیارة الشیخین وزیارة البقیع بمن فیها، کزیارة قبر عثمان وقبر الحسن بن علی، ثم قال: ویصلی فی مسجد فاطمة رضی الله عنها ویزور قبر إبراهیم ابن رسول الله وقبر صفیّة عمة رسول الله (صلی الله علیه وآله)فذلک کلّه بالبقیع، ویستحب له أن یأتی مسجد قباء فی کلّ سبت ویصلّی فیه لما روی أنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) قال: «من خرج من بیته حتی یأتی مسجد قباء ویصلّی فیه کان له عدل عمرة»(1) .

8 ـ قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الکلودانی الفقیه البغدادی الحنبلی (م/105هـ): وإذا فرغ من الحج استحبّ له زیارة قبر النبیّ (صلی الله علیه وآله)وقبر صاحبیه(2) .

9 ـ قال القاضی عیاض المالکی (م/544هـ): وزیارة قبره (صلی الله علیه وآله) سنّة مجمع علیها وفضیلة مرغّب فیها، ثم ذکر عدّة من أحادیث الباب فقال: قال إسحاق بن إبراهیم الفقیه: وممّا لم یزل من شأن من حج المزور(3) بالمدینة والقصد إلی الصلاة فی مسجد رسول الله (صلی الله علیه وآله) والتبرّک برؤیة روضه ومنبره وقبره ومجلسه وملامس یدیه ومواطن قدمیه والعمود الذی استند إلیه ومنزل جبرئیل بالوحی فیه علیه(4) .

1- الغزالی، إحیاء علوم الدین 1 : 305و306.
2- الهدایة، کما فی شفاء السقام : 66.
3- قیل بکسر المیم وسکون الزاء وفتح الواو: مصدر میمی بمعنی الزیارة.
4- الشفاء 2 : 194 ـ 197، ط دار الفیحاء، عمان.

10 ـ قال ابن هبيرة (م/056هـ): اتّفق مالک والشافعی وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل ـ رحمهم الله تعالی ـ علی أنّ زيارة النبی (صلی الله عليه وآله)مستحبة(1) .
11 ـ عقد الحافظ ابن الجوزی الحنبلی (م/975هـ) فی كتابه باباً فی زيارة قبر النبیّ (صلی الله عليه وآله) وذكر حديث ابن عمر وحديث أنس اللّذين سنذكرهما(2) .
12 ـ قال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله المالكی (م/126هـ): إذا كمل لک حجّک وعمرتک علی الوجه المشروع لم يبق بعد ذلک إلاّ إتيان مسجد رسول الله (صلی الله عليه وآله)للسلام علی النبیّ (صلی الله عليه وآله) والدعاء عنده، والسلام علی صاحبيه، والوصول إلی البقيع وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين، والصلاة فی مسجد الرسول فلا ينبغی للقادر علی ذلک تركه(3) .
13 ـ قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن إدريس السامری الحنبلی (م/616هـ): وإذا قدم مدينة الرسول(صلی الله عليه وآله) استحبّ له أن يغتسل لدخولها. ثم ذكر أدب الزيارة وكيفية السلام والدعاء والوداع(4) .
41 ـ قال الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسی

1- ابن الحاج، المدخل 1 : 256.
2- مثير العزام الساكن إلی أشرف الاماكن، كما فی شفاء السقام : 67.
3- المناسک، كما فی الغدير 5 : 110.
4- المستوعب، كما فی شفاء السقام : 67.

الحنبلى (م/206هـ): يستحب زيارة قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله)، ثم ذكر حديثى ابن عمر وأبى هريرة من طريق الدار قطنى وأحمد(1) .
51 ـ قال محى الدين النووى الشافعى (م/776هـ): ويُسنُّ شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد فراغ الحج(2) .
61 ـ قال نجم الدين بن حمدان الحنبلى (م/596هـ): ويسنّ لمن فرغ عن نسكه زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله) وقبر صاحبيه رضى الله عنهما، وله ذلک بعد فراغ حجة وإن شاء قبل فراغه(3) .
17 ـ قال القاضى الحسين: إذا فرغ من الحجّ فالسنّة أن يقف بالملتزم ويدعو، ثم يشرب من ماء زمزم، ثم يأتى المدينة ويزور قبر النبى (صلى الله عليه وآله)(4) .
18 ـ قال القاضى أبو العباس أحمد السروجى الحنفى (م/710هـ): إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكّة فليتوجّهوا إلى طيبة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزيارة قبره فإنّها من أنجح المساعى(5) .
19 ـ قال الامام القدوة ابن الحاج محمد بن محمد العبدرى القيروانى المالكى (م/738هـ) بعد أن ذكر لزوم وكيفية زيارة الانبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ والتوسّل بهم إلى الله تعالى وطلب الحوائج منهم قال: وأمّا فى زيارة سيد الاولين والاخرين

1- المغنى 3 : 788.
2- المنهاج، المطبوع بهامش شرح المغنى 1 : 494 ـ كما فى الغدير 5 : 111.
3- الرعاية الكبرى فى الفروع الحنبلية، كما فى شفاء السقام : 67.
4- نقله السبكى فى شفاء السقام : 66.
5- الغاية، كما فى شفاء السقام : 66.

صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه، أعنى فى الانكسار والذلّ والمسكنة، لانّه الشافع المشفّع الذى لا تُردّ شفاعته، ولايُخيّب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنّه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة ـ إلى أن قال ـ: فمن توسّل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه، فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والاثار، ويحتاج إلى الادب الكلّى فى زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنّ الزائر يشعر بنفسه بأنّه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو فى حياته(1) .

20 ـ وقال شمس الدين ابن قدامة الاندلسى: فإذا فرغ من الحج استحبّ زيارة قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله) وقبر صاحبيه ـ رضى الله عنهما ـ واستدلّ على ذلک بروايتى ابن عمر، وأبى هريرة(2) .

21 ـ قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلى المقدسى: إنّ ابن تيمية ذكر فى مناسكه «باب زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله): إذا أشرف على مدينة النبىّ (صلى الله عليه وآله) قبل الحج أو بعده، فليقل ما تقدم: إذا دخل استحب له أن يغتسل، نصّ عليه الامام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال: بسم الله والصلاة على رسول الله، اللّهمّ اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتک، ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر فيصلّى بها ويدعو بما شاء، ثم يأتى قبر النبىّ فيستقبل جدار القبر ولا

1- ابن الحاج، المدخل 1 : 257.
2- ابن قدامة، الشرح الكبير على المقنع 3 : 494.

يمسّه ولايقبّله، ويجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبى، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر فى حياته بخشوع وسكون منتكس الرأس، غاض الطرف، متحضراً بقلبه جلالة موقفه ثم يقول:
السلام عليک يارسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليک يانبىّ الله وخيرته من خلقه، السلام عليک يا سيّد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغرّ المحجّلين، أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّک رسول الله، أشهد أنّک قد بلّغت رسالات ربک، ونصحت لاُمتک، ودعوت إلى سبيل ربّک بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاک اليقين فجزاک الله أفضل ماجزى نبياً ورسولاً عن أُمته اللّهمّ آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً(1) .
22 ـ ألّف الشيخ تقى الدين السبكى الشافعى (م/567هـ) كتاباً حافلاً فى زيارة النبىّ الاعظم (صلى الله عليه وآله) وأسماه «شفاء السقام فى زيارة خيرالانام» ردّاً على ابن تيمية، وممّا قال فيه: لاحاجة إلى تتبّع كلام الاصحاب فى ذلک مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه. والحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله) من أفضل المندوبات والمستحبّات بل تقرب من درجة الواجبات، وممّن صرّح بذلک منهم أبو منصور محمد بن مكرم الكرمانى فى مناسكه، وعبد الله بن محمود

1- عبد الهادى الحنبلى، الصارم المنكى فى الرد على السبكى : 7، الطبعة الاُولى، القاهرة المطبعة الخيرية. ولو صحّ ما نقله يحمل على تبدلّ الاجتهاد والمعروف أنه نهى عن السفر للزيارة لا عن أصلها. وسيوافيک بعض شبهاته.

بن بَلَدحی فی شرح «المختار» وفی فتاوی أبی اللیث السمرقندی فی باب أداء الحجّ(1) .
ثم قال: وکیف یتخیّل فی أحد من السلف نهیهم من زیارة المصطفی (صلی الله علیه وآله) وهم مجمعون علی زیارة سائر الموتی، فالنبی (صلی الله علیه وآله)وسائر الانبیاء الذین ورد فیهم أنّهم أحیاء کیف یقال فیهم هذه المقالة(2) وحکی عن القاضی عیاض وأبی زکریا النووی إجماع العلماء والمسلمین علی استحباب الزیارة(3) .
وقال أیضاً: وإذا استحبّ زیارة قبر غیره (صلی الله علیه وآله) فقبره أولی لما له من الحق ووجوب التعظیم(4) . ثم إنّه استدلّ فی الباب السادس علی أنّ السفر إلی الزیارة قربة بالکتاب والسنّة والاجماع ـ إلی أن قال ـ :
الرابع: الاجماع إطباق السلف والخلف، فإنّ الناس لم یزالوا فی کل عام إذا قضوا الحج یتوجّهون إلی زیارته (صلی الله علیه وآله)، فمنهم من یفعل ذلک قبل الحج، هکذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحکاه العلماء عن الاعصار القدیمة... ومن ادّعی أنّ هذا الجمع العظیم مجمعون علی الخطأ فهو المخطئ(5) .
23 ـ قال زین الدین أبو بکر بن الحسین بن عمر القریشی العثمانی المصری المراغی (م/681هـ): وینبغی لکلّ مسلم اعتقاد کون

1- السبکی، شفاء السقام : 66، طبع دار الجیل.
2- المصدر نفسه : 79.
3- المصدر نفسه : 83.
4- المصدر نفسه : 84.
5- المصدر نفسه : 100.

زيارته (صلى الله عليه وآله) قربة عظيمة، للاحاديث الواردة فى ذلک، ولقوله تعالى: (ولوْ أنَّهم إذْ ظَلَموا أنفسَهُمْ جاءُوکَ فَاستغفَروا اللهَ واستغفَرَ لَهُمُ الرَّسولُ) الاية لانّ تعظيمه لاينقطع بموته(1) .
42 ـ قال السيد نور الدين السمهودى (م/911هـ) بعد ذكر أحاديث الباب: وأمّا الاجماع، فأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، وقد اختلفوا فى النساء، وقد امتاز القبر الشريف بالادلة الخاصة به. قال السبكى: ولهذا أقول: إنّه لا فرق فى زيارته بين الرجال والنساء. وقال الجمال الريمى فى «التفقيه»: يستثنى من محل الخلاف قبر النبى (صلى الله عليه وآله)وصاحبيه ثم قال: وقد ذكر ذلک بعض المتأخرين وهو الدمنهورى الكبير، وأضاف إليه قبور الاولياء والصالحين والشهداء(2) .
52 ـ قال الحافظ أبو العباس القسطلانى المصرى (م/933هـ): إعلم أنّ زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجا الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام، وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسى كما ذكره فى «المدخل» عن «تهذيب الطالب» لعبد الحق: أنّها واجبة، قال: ولعلّه أراد وجوب السنن المؤكدة، وقال القاضى عياض: إنّها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها...

1- المواهب اللدنية للقسطلانى 4 :572 المكتب الاسلامى، بيروت. والاية من سورة النساء:64.
2- وفاء الوفا، المجلد الثانى 4 : 1362، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت.

ثم قال: وقد صحّ عن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبىّ (صلى الله عليه وآله)فالسفر إليه قربة لعموم الادلة، ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا، إلى أن قال: وللشيخ تقى الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شدّ الرحال للزيارة النبوية وأنّه ليس من القرب بل يضد ذلک، ورد عليه الشيخ تقى الدين السبكى فى «شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين(1) .
62 ـ ذكر شيخ الاسلام أبو يحيى زكريا الانصارى الشافعى (م/592هـ) فى باب مايستحب لمن حج وقال: ثم يزور قبر النبىّ (صلى الله عليه وآله)ويسلّم عليه وعلى صاحبيه بالمدينة المشرّفة(2) .
27 ـ قال ابن حجر الهيثمى المكى الشافعى (م/973هـ) بعد ما استدلّ على مشروعية زيارة قبر النبى بعدة أدلة منها: الاجماع. فإن قلت: كيف تحكى الاجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخرى الحنابلة منكر لمشروعية ذلک كلّه كما رآه السبكى فى خطه؟. وقد أطال ابن تيمية الاستدلال لذلک بما تمجّه الاسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً وأنّه لاتقصَّر فيه الصلاة، وأنّ جميع الاحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخّر عنه من أهل مذهبه. قلت: من هو ابن تيمية؟ حتى ينظر إليه أو يقول فى شىء من مورد الدين عليه، وهل هو إلاّ كما قال جماعة من الائمة الذين تعقّبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار

1- المواهب اللدنية 4 : 570 المكتب الاسلامى، بيروت.
2- أسنى المطالب فى شرح روض الطالب 1 : 501.

سقطاته، وقبائح أوهامه، وغلطاته كالعزّ بن جماعة: عبد أضلّه الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزى وأرداه، وبواه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان ولقد تصدّى شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته، التقيّ السبكى ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ للردّ عليه فى تضيف مستقل أفاد فيه وأجاد، وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب ثم قال:

هذا ما وقع من ابن تيمية ممّا ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً، ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً، وليس بعجب فإنّه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه أنّه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، ومادرى المحروم أنّه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم فى مسائل كثيرة، وتدارک على أئمتهم لا سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة، شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الاقدس، المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة، على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلک من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلک البدع، وزالت تلک الضلالات، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً، ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءُوا بغضب من الله بما عصوا وكانوا يعتدون(1) .

1- الجوهر المنظّم فى زيارة القبر المكرّم : 22، طبع سنة 1279 بمصر.

ونقل حسن العدوى الحمزاوى عنه أيضاً ما هذه عبارته:
إعلم وفّقنى الله وإياک لطاعته وفهم خصوصيات نبيّه (صلى الله عليه وآله)والمسارعة إلى مرضاته: أنّ زيارته (صلى الله عليه وآله) مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنّة وإجماع الأُمة وبالقياس ـ إلى أن قال ـ : وأمّا الاجماع فقد حكاه الامام السبكى قال: ولا عبرة بما تفرّد به ابن تيمية وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه(1) .
28 ـ قال الشيخ محمد الخطيب الشربينى (م/977هـ): أمّا زيارته(صلى الله عليه وآله) فمن أعظم القربات للرجال والنساء، وألحق الدمنهورى به قبور بقية الانبياء والصالحين والشهداء وهو ظاهر(2) .
وقال فى موضع آخر بعد بيان مندوبية زيارة قبره الشريف (صلى الله عليه وآله)وذكر جملة من أدلّتها: ليس المراد اختصاص أدب الزيارة بالحج فإنّها مندوبة مطلقاً بعد حجّ أو عمرة أو قبلهما أو لا مع نسک، بل المراد تأكّد الزيارة فيها(3).
29 ـ قال الشيخ زين الدين عبد الرؤوف المناوى (م/1031هـ): وزيارة قبره (صلى الله عليه وآله)الشريف من كمالات الحج، بل زيارته عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة إلى قبره كهى إليه حيّاً(4) .
وقال فى موضع آخر: إنّ أثر الزيارة إمّا الموت على الاسلام مطلقاً

1- حسن العدوى الحمزاوى، كنز المطالب : 179 و 181، الطبعة الحجرية.
2- مغنى المحتاج 1 : 36، ط دار الفكر.
3- المصدر نفسه 1 : 512.
4- شرح الجامع الصغير 6 : 160.

لكل زائر، وإمّا شفاعة تخصّ الزائر أخص من العامة، وقوله: شفاعتى فى الاضافة إليه تشريف لها، إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون فللزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظّم بعظم الزائر(1) .
30 ـ قال الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى: زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) من أفضل القربات وأحسن المستحبّات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات، فإنّه (صلى الله عليه وآله) حرض عليها وبالغ فى الندب إليها. قال: «من وجد سعة فلم يزرنى فقد جفانى» وقال (صلى الله عليه وآله): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». وقال (صلى الله عليه وآله): «من زارنى بعد مماتى فكأنّما زارنى فى حياتى» إلى أن قال: وممّا هو مقرر عند المحققين أنه (صلى الله عليه وآله) حىّ يُرزق ممتّع بجميع الملاذ والعبادات، غير أنّه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات(2) .
31 ـ وقال قاضى القضاة شهاب الدين الخفاجى الحنفى المصرى (م/9610هـ): واعلم أنّ هذا الحديث (شدّ الرجال إلى المساجد) هو الذى دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التى كفروه بها، وصنف فيها السبكى مصنّفاً مستقلاً، وهى منعه من زيارة قبر النبى(صلى الله عليه وآله) وهو كما قيل:
لمهبط الوحى حقّاً ترحل النجب ... وعند ذاک المرجىّ ينتهى الطلب
فتوهم أنّه حمى جانب التوحيد بخرافات لاينبغى ذكرها فإنّها لا

1- المصدر نفسه : 93.
2- مراقى الفلاح فى شرح متن نور الايضاح : 292 ـ 293، ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، مصر.

تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل سامحه الله تعالى(1).
32 ـ قال الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده (م/987هـ): من أحسن المندوبات، بل يقرب من درجة الواجبات زيارة قبر نبينا وسيدنا محمد(صلى الله عليه وآله) وقد حرّض (عليه السلام) على زيارته وبالغ فى الندب إليها(2) .
33 ـ قال الشيخ محمد بن على بن محمد الحصنى المعروف بعلاء الدين الحصكفى الحنفى المفتى بدمشق (م/1088هـ): وزيارة قبره(صلى الله عليه وآله) مندوبة بل قيل واجبة لمن له سعة(3).
43 ـ قال أبو عبد الله محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى المصرى (م/1132هـ): قد كانت زيارته مشهورة فى زمن كبار الصحابة معروفة بينهم، لمّا صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاءه كعب الاحبار فأسلم ففرح به وقال: هل لک أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبره (صلى الله عليه وآله) وتتمتّع بزيارته؟ قال: نعم(4) .
53 ـ قال أبو الحسن السندى محمد بن عبد الهادى الحنفى (م/1138هـ): قال الدميرى: فائدة زيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله) من أفضل الطاعات وأعظم القربات لقوله (صلى الله عليه وآله): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى إلخ»(5) .
63 ـ قال محمد بن عبد الوهاب: تسنّ زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) إلاّ أنّه

1- شرح الشفاء 3 : 566، طبع المطبعة العثمانية در سعادت، سنة 1315.
2- مجمع الانهر فى شرح ملتقى الابحر 1 : 312، ط دار إحياء التراث العربى.
3- الدر المختار فى شرح تنوير الابصار، آخر كتاب الحج : 190، مطبعة الفتح الكريم، سنة 1302.
4- شرح المواهب 8 : 299، الطبعة الأُولى بالمطبعة الأُولى الازهرية المصرية، سنة 1302.
5- شرح سنن ابن ماجة 2 : 268، كما فى الغدير 5 : 120.

لايشدّ الرحال إلاّ لزيارة المسجد والصلاة فيه(1) .
37 ـ قال الشيخ محمد بن على الشوكانى (م/0512هـ): قد اختلفت فيها (فى زيارة النبى (صلى الله عليه وآله)، أمّا أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنّها مندوبة، وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنّها واجبة، وقالت الحنفية: إنّها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلى حفيد المصنّف المعروف بشيخ الاسلام إلى أنّها غير مشروعة. ثم فصل الكلام فى الاقوال، إلى أن قال وفى آخر كلامه: احتجّ أيضاً من قال بالمشروعية بأنّه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج فى جميع الازمان على تباين الديار واختلاف المذاهب، الوصول إلى المدينة المشرّفة لقصد زيارته، ويعدون ذلک من أفضل الاعمال، ولم ينقل أن أحداً أنكر ذلک عليهم فكان إجماعاً(2) .
38 ـ قال الشيخ محمد أمين ابن عابدين (م/3512هـ): زيارة النبى(صلى الله عليه وآله) مندوبة بإجماع المسلمين إلى ان قال: وهل تستحب زيارة قبره (صلى الله عليه وآله)للنساء؟ الصحيح، نعم، بلا كراهة بشروطها على ما صرّح به بعض العلماء، وأمّا على الاصح من مذهبنا وهو قول الكرخى وغيره من أنّ الرخصة فى زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال، وأمّا على غيره فذلک نقول بالاستحباب لاطلاق الاصحاب(3) .
39 ـ قال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيرونى

1- الهدية السنية، الرسالة الثانية.
2- نيل الاوطار 4 : 324.
3- رد المحتار على الدر المختار 5 : 278.

(م/6127هـ): زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) مطلوبة لانّه واسطة الخلق، وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه فى حياته، ومن أنكرها فإن كان ذلک إنكاراً لها من أصلها فخطأه عظيم، وإن كان لما يعرض من الجهلة ممّا لاينبغى فليبيّن ذلک(1) .
04 ـ قال الشيخ إبراهيم الباجورى الشافعى (م/1277هـ): وتسنّ زيارة قبره (صلى الله عليه وآله)ولو لغير حاج ومعتمر كالذى قبله، ويسنّ لمن قصد المدنية الشريفة لزيارته (صلى الله عليه وآله) أن يكثرمن الصلاة والسلام عليه فى طريقه، ويزيد فى ذلک إذا رأى حرم المدينة وأشجارها، ويسأل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبّلها منه. ثم ذكر جملة كثيرة من آداب الزيارة وألفاظها(2) .
14 ـ قال الشيخ حسن العدوى الحمراوى الشافعى (م/1303هـ)، بعد نقل جملة من الاحاديث الواردة فى أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) يسمع سلام زائريه ويرد عليهم: إذا علمت ذلک علمت أنّ ردّه (صلى الله عليه وآله) سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة (صلى الله عليه وآله) أمر واقع لا شکّ فيه، وإنّما الخلاف فى ردّه على المسلِّم عليه من غير الزائرين. فهذه فضيلة عظيمة ينالها الزائرون لقبره (صلى الله عليه وآله)فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله (صلى الله عليه وآله)لاصواتهم من غير واسطة وبين ردّه عليهم سلامهم بنفسه، فأنّى لمن سمع بهذين بل بأحدهما أن يتأخّر عن زيارته (صلى الله عليه وآله)؟ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول فى حضرته (صلى الله عليه وآله) تالله

1- التعليق على «حسن الاثر» : 246 ـ كما فى الغدير 5 : 121.
2- حاشية على شرح ابن الغزى على متن الشيخ أبى شجاع فى الفقه الشافعى 1 : 347 ـ كما فى الغدير 5 : 122.

ما يتأخر عن ذلک مع القدرة عليه إلاّ من حق عليه البعد من الخيرات، والطرد عن مواسم أعظم القربات، أعاذنا الله تعالى من ذلک بمنّه وكرمه آمين. وعلم من تلک الاحاديث أيضاً أنّه (صلى الله عليه وآله) حىّ على الدوام، إذ من المحال العادى أن يخلو الوجود كلّه من واحد يسلّم عليه فى ليل أو نهار، فنحن نؤمن ونصدق بأنّه (صلى الله عليه وآله) حىّ يرزق، وأنّ جسده الشريف لا تأكله الارض، وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاجماع على)هذا"(1)

24 ـ قال السيد محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى الشافعى (م/7513هـ): زيارة قبره (صلى الله عليه وآله) من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتى أنّ بعضهم جرى على أنها واجبة فينبغى أن يحرّض عليها، وليحذّر كل الحذر من التخلّف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجة الاسلام لانّ حقّه (صلى الله عليه وآله) على أمته عظيم، ولو أنّ أحدهم يجىء على رأسه أو بصره من أبعد موضع من الارض لزيارته (صلى الله عليه وآله) لم يقم بالحق الذى عليه لنبيه جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء.

ويسنّ لمن قصد المدينة الشريفة (إلخ) ثم فصل القول فى آداب الزيارة وذكر التسليم على الشيخين وزيارة السيدة فاطمة وأهل البقيع والمزارات المشهورة وهى نحو ثلاثين موضعاً كما قال وما أحسن ما قيل:

هنيئاً لمن زار خير الورى ... وحطّ عن النفس أوزارها

1- كنز المطالب : 195، الطبعة الحجرية.

فإنّ السعادة مضمونة ... لمن حلّ طيبة أو زارها(1)
34 ـ قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ على الفاخورى مفتى بيروت: الفصل الثانى عشر فى زيارة النبى (صلى الله عليه وآله) وهى متأكّدة مطلوبة ومستحبة محبوبة، وتسنّ زيارته فى المدينة كزيارته حيّاً وهو فى حجرته حىّ يرد على من سلّم عليه السلام، وهى من أنجح المساعى وأهمّ القربات وأفضل الاعمال وأزكى العبادات، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». ومعنى «وجبت» ثبت بالوعد الصادق الذى لابدّ من وقوعه وحصوله، وتحصل الزيارة فى أىّ وقت وكونها بعد تمام الحج أحب، يجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شىء يخالف طريقه وسنته (صلى الله عليه وآله) إلى أن قال: ويستحب التبرک بالاسطوانات التى لها فضل، وشرف وهى ثمانية: اسطوانة محل صلاته (صلى الله عليه وآله)، واسطوانة عائشة (رض). وتسمى اسطوانة القرعة، واسطوانة التوبة محل اعتكافه (صلى الله عليه وآله)، واسطوانة السرير، واسطوانة علىّ (رضى الله عنه) واسطوانة الوفود، واسطوانة جبرئيل (عليه السلام)، واسطوانة التهجّد(2) .
44 ـ قال الشيخ عبد المعطى السقّا: فى زيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله) إذا أراد الحاج أو المعتمر الانصراف من مكة ـ أدام الله تشريفها وتعظيمها ـ طلب منه أن يتوجّه إلى المدينة المنوّرة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام فإنّها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعى المشكورة، ولايختص طلب الزيارة بالحاج غير أنّها فى حقّه آكد،

1- مصباح الظلام 2 : 145 ـ كما فى الغدير 5 : 123.
2- الكفاية لذوى العناية : 125 ـ كما فى الغدير 5 : 123.

والاولى تقديم الزيارة على الحج إذا اتّسع الوقت فإنّه ربما يعوقه عنه عائق...(1) .
45 ـ قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى: والاحاديث فى زيارته(صلى الله عليه وآله)فى الغاية من الكثرة، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائى فى جزء، وعلى العمل بموجبها استمرت الاُمة إلى أن شذّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين فى ذلک، قال على القارئ فى شرح «الشفاء»: وقد أفرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله)كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثانى أقرب إلى الصواب لانّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانّه فوق تحريم المباح المتّفق عليه(2) .
46 ـ قال فقهاء المذاهب الاربعة المصريين فى (الفقه على المذاهب الاربعة): زيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله) أفضل المندوبات، وقد ورد فيها أحاديث. ثم ذكروا أحاديث ستة وجملة من أدب السرائر وزيارة النبى (صلى الله عليه وآله) وأُخرى للشيخين(3) .
74 ـ قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز إجابة عن الاسئلة حول زيارة المسجد النبوى: الزيارة للمسجد النبوى سنّة وليست واجبة ـ إلى أن قال ـ : وإذا زار المسجد النبوى شرع له أن يصلى فى الروضة

1- الارشادات السنية : 260 ـ كما فى الغدير 5 : 123.
2- الكوثرى، تكملة السيف الصقيل : 156، ط دمشق.
3- الفقه على المذاهب الاربعة 1 : 590.

ركعتين ثم يسلّم على النبى (صلى الله عليه وآله) وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما)، كما يشرع له زيارة البقيع والشهداء بالسلام على المدفونين هناک من الصحابة وغيرهم، والدعاء لهم والترحّم عليهم، كما كان النبىّ(صلى الله عليه وآله) يزورهم وكان يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم أهل الدار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية. وفى رواية عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه كان يقول إذا زار البقيع: «يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، اللّهم اغفر لاهل بقيع الغرقد» ويشرع أيضاً لمن زار المسجد النبوى أن يزور مسجد قباء ويصلّى فيه ركعتين لانّ النبى (صلى الله عليه وآله) كان يزوره كل سبت ويصلّى فيه ركعتين إلى آخر ما قال(1) .
وتمّت كلمة ربک صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته
وهو السميع العليم

1- جريدة الجزيرة المؤرخة: يوم الجمعة 24 ذو القعدة 1411، العدد 6826.

ص: 43

3ـ زيارة النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) فى الكتاب العزيز

أمر القرآن الكريم المسلمين بالحضور عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)ليستغفر لهم الله، لانّ دعاءه يستجاب فيهم، قال عزّ وجلّ: (ولو أنَّهم إذْ ظَلَمُوا أنفسَهُم جاءُوكَ فَاستغفَرُوا اللهَ واستغفَرَ لهُمُ الرَّسولُ لَوجَدوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً) (النساء/64).

قال الامام السبكى: «دلّت الاية على الحث على المجىء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وذلک وإن كان ورد فى حال الحياة، فهى رتبة له لاتنقطع بموته تعظيماً له»(1) .

ثم إنّه بسط الكلام فى دلالة الاية على شمولية المجىء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد موته، فمن أراد فليراجع إليه، غير أنّا نستدلّ بالاية

1- الامام السبكى، شفاء السقام : 81.

بوجه آخر ونقول:
لو كانت هذه الاية هى الوحيدة فى هذا المجال، لذهبنا إلى القول بأنّها خاصّة بحياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومدة تواجده بين الناس، ولكنّنا نستخلص منها حكماً عامّاً شاملاً لايختص بالحياة الدنيوية وذلک من خلال ما يلى:
أوّلاً:
إنّ القرآن الكريم يصرّح بحياة الانبياء والاولياء ـ وجماعات أُخرى ـ فى البرزخ ويعتبرهم مبصرين وسامعين فى ذلک العالم.
ثانياً:
إنّ الاحاديث الشريفة تصرّح بأنّ الملائكة تبلغ خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله) سلام من يسلّم عليه، فقد جاء فى الصحاح:
«إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما من أحد يسلّم علىَّ إلاّ ردّ الله علىَّ روحى حتى أردَّ عليه السلام»(1) .
وقال (صلى الله عليه وآله): «صلّوا علىّ فإنّ صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم»(2) .
ثالثاً:
إنّ المسلمين ـ منذ ذلک اليوم ـ فهموا من هذه الاية معنى مطلقاً لاينتهى بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أنّ بعض الاعراب ـ بوحى من أذهانهم الخالصة من كل شائبة ـ كانوا يقصدون قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)ويزورونه ويتلون هذه الاية عند قبره المطهّر ويطلبون منه الاستغفار لهم.
وقد ذكر تقىّ الدين السبكى فى كتاب «شفاء السقام»

1- سنن أبى داود 1 : 470و471، كتاب الحج، باب زيارة القبور.
2- الشيخ منصور على ناصف، التاج الجامع للاُصول فى أحاديث الرسول 2 : 189.

والسمهودى فى كتاب «وفاء الوفا» نماذج من زيارة المسلمين لقبر رسول الله وتلاوة هذه الاية عند قبره الشريف، وفيما يلى نذكر بعض تلك النماذج:
روى سفيان بن عنبر عن العتبى ـ وكلاهما من مشايخ الشافعى وأساتذته ـ أنّه قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء أعرابىّ فقال:
«السلام عليک يا رسول الله، سمعت الله يقول: (ولو أنَّهم إذْ ظَلموا أنفسَهُم جاءُوکَ فَاستغفَرُوا اللهَ واستغفَرَ لهُمُ الرَّسولُ لَوجَدوا اللهَ تَوّاباً رَحيما) وقد جئتک مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بک إلى ربّى». ثم بكى وأنشأ يقول:
يا خيرَ من دفنت فى القاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاعُ والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم استغفر وانصرف(1) .
ويروى أبو سعيد السمعانى عن الامام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) انّ أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا من ترابه على رأسه وقال: «يارسول الله قلتَ فسمعنا قولک، ووعيت عن الله ما وعينا عنک، وكان فيما أنزله عليک: (ولو أنَّهم إذْ ظَلموا أنفسَهُم...) وقد ظلمت نفسى وجئتک تستغفر لى إلى

1- وفاء الوفا 4 : 1361 ـ أحمد زينى دحلان، الدرر السنيّة : 21.

ربّی(1) .
إنّ کل هذا یدل علی أنّ المنزلة الرفیعة التی منحها الله تعالی لحبیبه المصطفی (صلی الله علیه وآله) کما صرّحت بها هذه الایة لیست خاصّة بحیاته، بل تؤکّد علی أنّها ثابتة له بعد وفاته أیضاً.
وبصورة عامّة... یَعتبر المسلمون کلّ الایات النازلة فی تعظیم رسول الله واحترامه، عامّة لحیاته وبعد مماته، ولیس هناک من یُخصِّصها بحیاته (صلی الله علیه وآله).
وقد جاء فی التاریخ: لمّا استُشهد الامام الحسن بن علیّ (علیهما السلام)وجیء بجثمانه الطاهر إلی مسجد رسول الله (صلی الله علیه وآله) ظنّ بنو اُمیة أنّ بنی هاشم یریدون دفن الامام بجوار قبر جدّه المصطفی فأثاروا الفتنة والضجّة للحیلولة دون ذلک، فتلا الامام الحسین (علیه السلام)قوله تعالی: (یا أیُّها الَّذینَ آمَنُوا لا تَرفَعُوا أصواتَکُمْ فَوقَ صَوتِ النَّبِیِّ) (الحجرات/2).
ولم یردَّ علیه أحد ـ حتی من الامویین ـ بأن هذه الایة خاصة بحیاة رسول الله (صلی الله علیه وآله).
والیوم نصب المسلمون هذه الایة علی الجدار المقابل لقبر رسول الله (صلی الله علیه وآله)، وهم یقصدون بذلک المنع من رفع الاصوات هناک.
ومن هذا المنطلق یمکننا أن نستنتج من الایة معنیً واسعاً عامّاً، وهو أنّ للمسلمین الیوم أن یَقِفوا أمام قبر رسول الله (صلی الله علیه وآله)ویسألوه أن یستغفر الله لهم.

1- ابن حجر، الجوهر المنظم، وذکره السمهودی فی وفاء الوفا 2 : 612، وزینی دحلان فی الدرر السنیة : 21.

وليس لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) معنى سوى ما تضمّنته هذه الاية وأمثالها، فانها تدلّ على موضوعين هما:
1 ـ إنّ للانسان أن يقف عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته ويسأله أن يستغفر الله له.
2 ـ إنّ هذه الاية تشهد على جواز زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لانّ حقيقة الزيارة لا تعنى سوى «حضور الزائر عند المزور» فإذا كان الوقوف عند قبر النبى وسؤاله أن يستغفر الله له جائزاً فقد تحقق أمران:
أ ـ سألناه أن يستغفر الله لنا.
ب ـ حضرنا عنده وتحدّثنا إليه، والزيارة ليست إلاّ هذا.

ص: 48

4ـ زيارة النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله) فى السنّة النبوية

اشارة

تضافرت السنّة على استحباب زيارة قبر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله حيث رواها أئمة المذاهب الأربعة وأصحاب السنن والمسانيد فى كتبهم.
ولمّا ظهرت بدعة التشكيک فى زيارة النبىّ الأكرم قام الإمام تقى الدين السبكى (م/ 754 ه) بجمع ما رواه الحفّاظ فى هذا المجال فبلغت خمسة عشر حديثاً، وقد صحّح كثيراً من أسانيدها بما كان له من اطّلاع واسع فى مجال رجال الحديث (1).
وممّن قام بنفس العمل الحافظ نور الدين على بن أحمد السمهودى فى كتابه «وفاء الوفا باخبار دار المصطفى» (م/ 911 ه) حيث أحصى سبعة عشر حديثاً غير ما ورد فى ذلک المجال، ولم يشتمل على لفظ «الزيارة» (2).

1- السبكى، شفاء السقام فى زيارة خير الأنام، الباب الأول 5- 39.
2- السمهودى، وفاء الوفا 4: 1336- 1348، الباب الثانى.

وقد قام بنفس ما قام به الإمام السبكى من تصحيحٍ للاسناد وذِكر لمصادر الروايات على وجه بديع.
من جهة أُخرى قام الكاتب الإسلامى الشيخ محمد الفقى، من علماء الأزهر الشريف، بجمع ما ورد فى زيارة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من غير تحقيق للاسناد بل مجرد النقل فبلغ اثنين وعشرين حديثاً (1).
وبذل المجاهد الكبير الشيخ الأمينى جهداً كبيراً فى العثور على مظانّ الروايات فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ، وربما نقل بعض الأحاديث، كالحديث الأول، عن واحد وأربعين مصدراً.
والأحاديث التى سنسردها على صفحات هذه الرسالة من الكثرة ما يغنينا عن التحقيق فى أسانيدها ورواتها حيث سجّلها الحفّاظ فى كتبهم وصحاحهم، وهى بمجموعها كافية للحكم باستحبابها، ولأجل ذلک سنكتفى بذكر متون الأحاديث مجرّدة عن الاسناد وما دار حول رواتها من كلام للرجاليين، تاركين كل ذلک إلى كتاب شفاء السقام للإمام السبكى وسنذكر بعض المصادر لكل حديث دون الاستيعاب لجميعها.
الحديث الأول:
روى الدار قطنى فى سننه بسنده إلى ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» (2).
ورواه البيهقى أيضاً فى سننه (3)، والماوردى: فى الأحكام

1- الفقى، التوسل والزيارة فى الشريعة الإسلامية: 48- 50.
2- الدار قطنى، السنن 2: 278، باب المواقيت، الحديث 194، ط دار المحاسن، القاهرة.
3- البيهقى، السنن 5: 245.

السلطانية (1).
إلى غير ذلک من الحفّاظ الذين نقلوه فى كتبهم (2).
الحديث الثانى: روى الطبرانى فى المعجم الكبير (3)، والغزالى فى إحياء العلوم (4)، عن عبد اللّه بن عمر مرفوعاً عن النبى صلى الله عليه و آله: «من جاءنى زائراً لا تَحمِلُه حاجة إلّازيارتى كان حقّاً علىّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».
الحديث الثالث: أخرج الدار قطنى عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من حجَّ فزار قبرى‌بعد وفاتى، فكأنّما زارنى فى حياتى» (5).
وأخرجه الحافظ أبو بكر البيهقى فى سننه (6) ورواه الإمام السبكى فى شفاء السقام (7) والسمهودى فى وفاء الوفا (8).

1- أبو الحسن الماوردى، الأحكام السلطانية: 105.
2- أخرجه العلّامة الأمينى عن واحد وأربعين مصدراً حديثياً وفقهياً- أُنظر: الغدير 5: 93- 96.
3- الطبرانى، المعجم الكبير.
4- الغزالى، إحياء العلوم 1: 306، وفيه «لايهمّه إلّازيارتى» مكان قوله: «لاتحمله»- وقدنقله الإمام السبكى، فى شفاء السقام: 16- والسمهودى، فى وفاء الوفا 4: 1340- ونقله العلّامة الأمينى عن ستة عشر مصدراً حديثياً وفقهياً فى الغدير 5: 97 و 98.
5- الدار قطنى، السنن 7: 278، باب المواقيت، الحديث 192.
6- البيهقى، السنن 5: 246.
7- السبكى، شفاء السقام: 21.
8- السمهودى، وفاء الوفا 4: 1340- ورواه العلّامة الأمينى عن خمسة وعشرين مصدراً فى الغدير 5: 98- 100.

الحديث الرابع: أخرج الدار قطنى عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بعد موتى، فكأنّما زارنى فى حياتى، ومن مات بأحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة» (1).
الحديث الخامس: أخرج البيهقى فى سننه قال:
روى ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى (أو من زارنى) كنت له شفيعاً (أو شهيداً)» (2).
الحديث السادس: أخرج الحافظ ابن عدى (م/ 365 ه) فى كتابه الكامل عن عبد اللّه بن عمر أنّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ البيت ولم يزرنى فقد جفانى» (3).
الحديث السابع: روى عن أنس بن مالک أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:
«من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً» (4).
الحديث الثامن: روى أنس بن مالک أنّه قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى ميتاً فكأنّما زارنى حيّاً، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة، وما من أحد من أُمتى له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر» (5).

1- الدار قطنى، السنن 2: 278، باب المواقيت، الحديث 193- ورواه الإمام السبكى فى شفاء السقام: 233- والسمهودى، فى وفاء الوفا 4: 1344- ونقله العلّامة الأمينى فى الغدير 5: 101، عن ثلاثة عشر مصدراً حديثياً.
2- البيهقى، السنن الكبرى 5: 245- ورواه الإمام السبكى، فى شفاء السقام: 29- والسمهودى، فى وفاء الوفا 4: 1342. وقال: أخرجه الدار قطنى فى السنن.
3- الإمام السبكى، شفاء السقام: 27- ونقله السمهودى، فى وفاء الوفا 4: 1342- وقد ذكر اسناد ابن عدى إلى ابن عمر، ونقله العلّامة الأمينى عن مصادر تسعة فى الغدير 5: 100.
4- رواه الإمام السبكى فى شفاء السقام بسنده إلى أنس بن مالک: 35- كما رواه السمهودى فى وفاء الوفا عن ابن أبى الدنيا بسنده إلى أنس 4: 1345- ورواه العلامة الأمينى عن واحد وعشرين مصدراً، الغدير 5: 102 و 103.
5- السبكى، شفاء السقام: 37- وأخرجه السمهودى عن كتاب ابن النجار فى أخبار المدينة بسنده عن أنس 4: 1345- ونقله العلّامة الأمينى عن مصادر ستة فى الغدير 5: 104.

الحديث التاسع: روى علقمة عن عبد اللَّه بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ حجّة الإسلام وزار قبرى وغزا عزوة وصلّى علىَّ فى بيت المقدس لم يسأله اللَّه عزّ وجلّ فيما افترض عليه» (1).
الحديث العاشر: أخرج الفردوس فى مسنده عن ابن عباس أنّه قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ إلى مكّة ثم قصدنى فى مسجدى كُتِبَت له حجّتان مبرورتان» (2).
*** واكتفينا بهذا العدد من الروايات ومن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى المصادر، وبما أنّ الشيخ محمد الفقى قد جمع متون الروايات بشكل موجز نذكر ما جمعه وإن مضى ذكر قسم منها:

ویستحبّ زیارة قبر النبیّ صلی اللہ علیه و آله لما روی الدار قطنی باسناده عن ابن عمر قال: قال رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله: «من حجّ فزار قبری بعد وفاتی فکأنما زارنی فی حیاتی» وفی روایة: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» رواه باللفظ الأوّل سعید، ثنا حفص بن سلیمان، عن لیث، عن مجاهد، عن ابن عمر. وقال أحمد فی روایة عبد اللّٰه بن یزید بن قسیط عن أبی هریرة: إنّ النبی صلی الله علیه و آله قال: «ما من أحد یسلّم علیَّ عند قبری إلّاردّ اللّٰهُ علیَّ روحی

1- السبکی، شفاء السقام: 303، عن کتاب الفوائد لأبی الفتح الأزدی- وأخرجه السمهودی، فی وفاء الوفا 4: 1344- والعلامة الأمینی فی غدیره 5: 102 عن مصادر خمسة.
2- السمهودی، وفاء الوفا 4: 1347- ورواه الشوکانی فی نیل الأوطار 4: 326.

حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود بدون زيادة «عند قبرى».
فإقراره للزيارة وتقريره لها اعتراف بالغ الأهمية باستحبابها وروعة الترغيب فيها، وانتصار للحقّ ووقوف بجانبه، ولا يمكن أن يوصف ذلک الإمام بالتحيّز، ولاينبغى أن يرمى بضعف التقدير، إذ إنّ إقراره ذلک يتّفق تماماً مع هدى الدين والرسائل السماوية والأحاديث النبوية المتعددة الطرق المختلفة الأسانيد، والتى ندعها وحدها تتكلم عن مدى تقدير الزيارة وعظم اهتمام الشارع بها، وما تتجلّى عنه من مزايا واسعة الآفاق كبيرة النوال:
1- عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» رواه ابن خزيمة فى صحيحه.
2- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى فى قبرى حلّت له شفاعتى يوم القيامة» رواه ابن أبى الدنيا.
3- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى حلّت له شفاعتى يوم القيامة» رواه الدار قطنى.
4- وعن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى» رواه العقيلى.
5- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بالمدينة بعد موتى كنت له شفيعاً يوم القيامة» رواه أبو داود الطيالسى.
6- وعن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حىّ» رواه الحافظ سعيد بن محمد.
7- وعن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى حتى

ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً» رواه العقيلى.
8- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من جاءنى زائراً لا تعلم لهحاجة إلّازيارتى كان حقّاً علىّ أن أكون له شفيعاً» رواه الدارقطنى.
9- وعن بكر بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من أتى المدينة زائراً إلىَّ وجبت له شفاعتى يوم القيامة» رواه يحيى بن حسين.
10- وعن أبى هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» رواه ابن مردويه.
11- وعن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» رواه أبو عوانة.
12- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من زارنى بعد وفاتى فكأنّما زارنى فى حياتى» رواه ابن عدى.
13- وعن أنس قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» رواه ابن النجار.
14- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من جاءنى زائراً لا تعمده حاجة إلّازيارتى كان حقّاً علىَّ أن أكون له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» رواه الطبرانى.
15- وعن ابن عباس عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من حجّ إلى مكّة ثم قصدنى فى مسجدىكُتِبَت له حجّتان مبرورتان» رواه الديلمى فى مسند الفردوس.
16- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من جاءنى زائراً لا يهمّه إلّازيارتى كان حقّاً على اللّه أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» رواه

الطبرانی وصحّحه ابن السکن.
17- وعن أنس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «ما من أحد من أُمّتی له سعة ثم لم یزرنی فلیس له عذر» رواه ابن النجار.
18- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من وجد سعة ولم یفد إلیّ فقد جفانی» رواه ابن حبّان.
19- وعن أنس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لا عذر لمن کان له سعة من أُمتی أن لا یزورنی» رواه ابن عساکر.
20- وعن ابن عمر: «من حج وزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی» رواه سعید بن منصور.
21- وعن أنس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من حجّ ولم یزر قبری فقد جفانی» رواه ابن عساکر.
22- وعن ابن عمر: «قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «من حج البیت ولم یزرنی فقد جفانی» رواه ابن عدی بسند حسن (1).

تضافر الحديث عن العترة الطاهرة حول زيارة قبر النبىّ الاكرم(صلى الله عليه وآله)نقتبس منه ما يلى:
1 ـ روى الحميرى (م/299هـ) عن هارون، عن ابن صدقة عن الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «من زارنى حيّاً وميّتاً، كنت

1- محمد الفقى، التوسل والزيارة فى الشريعة الإسلامية: 48 و 49.

له شفيعاً يوم القيامة»(1) .
2 ـ روى الصدوق (م/630ـ381هـ) بسنده عن الامام علىّ (صلوات الله عليه): «أتمّوا برسول الله حجّكم، إذا خرجتم إلى بيت الله، فإنّ تركه جفاء وبذلک أُمرتم، وأتمّوا بالقبور التى ألزمكم الله زيارتها وحقّها»(2) .
3 ـ روى الصدوق بسنده عن الامام الرضا (عليه السلام) أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «من زارنى فى حياتى وبعد موتى فقد زار الله تعالى...»(3) .
4 ـ روى الصدوق عن إبراهيم بن أبى حجر الاسلمى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن جاءنى زائراً وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة»(4) .
5 ـ روى ابن قولويه (م/963هـ) عن أبى حجر الاسلمى قال: قال رسول الله (وذكر مثل ماسبق وزاد فى آخره) «ومن مات فى أحد الحرمين ـ مكّة أو المدينة ـ لم يعرض إلى الحساب ومات مهاجراً إلى الله وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»(5)
6 ـ روى الصدوق بسنده عن المعلى بن شهاب عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: قال الحسن بن علىّ (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبتاه ما جزاء

1- الحميرى، قرب الاسناد : 31 ـ والمجلسى، البحار 97 : 139.
2- الصدوق، الخصال 2 : 406 ـ المجلسى، البحار 97 : 139.
3- الصدوق، عيون أخبار الرضا 1 : 115 ـ المجلسى، البحار 97 : 140.
4- الصدوق، علل الشرائع : 460 ـ المجلسى، البحار 97 : 140.
5- ابن قولويه، كامل الزيارات : 460 ـ المجلسى، البحار 97 : 140.

من زارک؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يابنى: من زارنى حياً أو ميّتاً أو زار أباک أو أخاک أو زارک كان حقّاً علىَّ أن أزوره يوم القيامة فأخلّصه من ذنوبه(1) .
7 ـ روى ابن قولويه بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أتانى زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»(2) .
8 ـ روى ابن قولويه عن ابن أبى نجران قال: قلت لابى جعفر الثانى (الامام الجواد (عليه السلام) : جعلت فداک، ما لمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)متعمّداً؟ قال: «له الجنّة»(3) .
9 ـ روى ابن قولويه باسناده عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن علىّ بن أبى طالب قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من زارنى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وكنت له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة»(4).
10 ـ روى ابن قولويه بسنده عن على بن الحسين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من زار قبرى بعد موتى كان كمن هاجر إلىَّ فى حياتى، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلىَّ بالسلام فإنّه يبلغنى»(5) .
نكتفى بهذا القدر من الروايات، وبهذا يتضح اتفاق الفريقين على استحباب زيارة قبر النبىّ الاكرم (صلى الله عليه وآله)، وقد بلغ الاتفاق إلى حدّ نرى وحدة المضمون بل التعبير فى رواياتهم، وهناک روايات أخرى عن العترة الطاهرة لم نذكرها روماً للاختصار.

1- الصدوق، علل الشرائع : 460 ـ المجلسى، البحار 97 : 140.
2- ابن قولويه، كامل الزيارات : 12 ـ المجلسى، البحار 97 : 142.
3- المصدر نفسه، وفى البحار : 143.
4- المصدر نفسه : 13، والمصدر الثانى نفسه.
5- المصدر نفسه: 14، والمصدر الثانى : 144.

ومن تجرّد عن الرأى المسبق أو التشكيک الذى أثاره بعض الناس، ونظر إلى كلمات أعلام المذاهب وروايات الفريقين يحصل له القطع واليقين على أنّ استحباب زيارته (صلى الله عليه وآله) من الاُمور الواضحة فى الشريعة الاسلامية الغرّاء، وأنّ التشكيک فيها تشكيک فى الاُمور المسلَّمة والمتَّفق عليها.

ص: 59

5ـ شدّ الرحال إلى زيارة النبىّ الاكرم(صلى الله عليه وآله)

اشارة

إذا كانت زيارة النبىّ الاكرم أمراً مطلوباً وعملاً مستحبّاً كما دلّت عليه الروايات المتضافرة والسيرة القطعية يكون شدّ الرحال، الذى هو بمنزلة المقدمة أمراً مستحبّاً، بناءً على الملازمة بين استحباب الشىء واستحباب مقدمته، كما عليه أكثر الأُصوليين، وهذا له نظائر فى الشريعة الاسلامية، تحكى أنّ وسيلة القربة، قربة قال سبحانه: (ومَنْ يَخْرُج مِنْ بَيتِه مُهاجراً إلى اللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ فَقَدْ وَقعَ أجرُهُ عَلى اللهِ) (النساء/100) فهذا الانسان مأجور بخروجه هذا وإن كان مقدمة لامر مطلوب آخر.
يقول سبحانه فى حقّ المجاهدين: (ذلكَ بأنَّهم لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ فِى سَبيلِ اللهِ ولا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفّارَ ولا يَنالُونَ مِن عَدُوّ نَيلاً إلاّ كُتِبَ لَهُم بهِ عَملٌ صالِحٌ إنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجرَ

الُمحْسِنِينَ * ولا يُنفِقُونَ نَفقةً صَغيرةً ولا كَبيرةً ولا يَقطعُونَ وادِياً إلاّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما كانوا يَعملونَ) (التوبة/120ـ121).
وهذه الاُمور التى كتب الله لهم بها أجراً، وسيلة الجهاد، ومقدمة للقتال، وهذا يكشف عن التلازم بين الاستحبابين، أو الثوابين.
نعم، ذهب بعض الاُصوليين إلى عدم الملازمة ولكنّهم متّفقون على لزوم كون المقدمة مباحة لا محرّمة، لاستلزامه التناقض فى التشريع، حيث لا يعقل البعث إلى أمر، مع المنع عمّا يوصل المكلف إليه، وعلى كل تقدير لا يصحّ تحريم السفر مع افتراض كون الزيارة أمراً راجحاً، وفعلاً مستحبّاً فلا محيص إلاّ بالقول باستحبابه، أو إباحته. ولا تجتمع حرمة المقدمة مع استحباب ذيها.
نعم، هنا فرق بين زيارة قبر النبىّ، وزيارة قبور المسلمين، فإنّ الاوّل مستحبّ بالخصوص، بخلاف الاخرين فإنّها مسنونة على وجه العموم فلو زار إنسان قبر أبيه أو أخيه، فإنّما يزورهما بما أنّ زيارتهما داخلة تحت عموم قوله (صلى الله عليه وآله): «فزوروا القبور، فإنّ زيارتها تذكّركم الاخرة»، وهذا بخلاف زيارة الرسول فإنّها ـ مضافاً إلى أنّها داخلة تحت العموم ـ مستحبة فى نفسها.
وقد جرت سيرة المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على شدِّ الرحال إلى زيارة النبىّ الاكرم وعدّوا زيارتها قربة، والسفر إليها مثلها، ولم ينكر أحد قربية الزيارة ولا جواز السفر إلاّ ابن تيمية فى أوائل القرن الثامن لشبهة طرأت له، وسنتعرض لها فى فصل مستقل.
ولاجل إيقاف القارئ على اتصال السيرة إلى عصر الصحابة نذكر

بعض مایدلّ علیه:
1 ـ روی ابن عساکر بإسناده عن أبی الدرداء قال: لمّا فرغ عمر بن الخطاب (رضی الله عنه)عن فتح بیت المقدس فصار إلی الجابیة سأله بلال أن یقرَّه بالشام ففعل ذلک ـ إلی أن قال ـ: ثم إنّ بلالاً رأی فی منامه رسول الله وهو یقول: ما هذه الجفوة یا بلال أما آن لک أن تزورنی یا بلال، فانتبه حزیناً وجلاً خائفاً فرکب راحلته وقصد المدینة فأتی قبر النبی (صلی الله علیه وآله) فجعل یبکی عنده ویمرغ وجهه علیه فأقبل الحسن والحسینَ (رضی الله عنهما) فجعل یضُمّهما ویقبّلهما فقالا له: نشتهی أذانَک الذی کنت تؤذِّن به لرسول الله (صلی الله علیه وآله) فی المسجد ففعل، فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذی کان یقف فیه فلمّا أن قال: الله أکبر، الله أکبر، ارتجّت المدینة، فلمّا أن قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، إزدادت رجّتها، فلمّا أن قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهنّ وقالوا: بُعِثَ رسول الله. فما رؤی یوم أکبر باکیاً ولا باکیة بالمدینة بعد رسول الله من ذلک الیوم(1) .
2 ـ استفاض عن عمر بن عبد العزیز (رضی الله عنه) أنّه کان یُبرِد البرید من الشام إلی المدینة یقول: سلِّم لی علی رسولِ الله، روی ابن الجوزی: «وکان عمر بن عبد العزیز یبعث بالرسول قاصداً من الشام إلی المدینة لیقرئ النبیّ ثم یرجع»(2) .

1- ابن عساکر، مختصر تاریخ دمشق 5 : 265 ـ الحافظ جمال الدین المزّی، تهذیب الکمال 4 : 289.
2- ابن الجوزی، مثیر الغرام الساکن.

وربّما كان يجتمع مع قصد الزيارة قصد أمر آخر. فكان يُشَدّ لغايتين.
3 ـ روى يزيد بن أبى سعيد، مولى المهرى قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلمّا ودّعته قال: إليک حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبىّ فاقرأه منّى السلام(1) .
4 ـ روى أبو الليث السمرقندى الحنفى فى الفتاوى فى باب الحج: قال أبو القاسم: لمّا أردت الخروج إلى مكّة قال القاسم بن غسان: إنّ لى إليک حاجة، إذا أتيت قبر النبى فاقرأه منّى السلام، فلمّا وضعت رحلى فى مسجد المدينة ذكرت.
قال الفقيه: فيه دليل إن لم يقدر على الخروج يأمر غيره ليسلّم عنه فإنّه ينال فضيلة السلام(2).
5 ـ روى الواقدى فى فتوح الشام: كان أبو عبيدة منازلاً بيت المقدس فأرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق (رضى الله عنه) يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله دخلها ليلاً ودخل المسجد وسلّم على قبر رسول الله وعلى قبر أبى بكر (رضى الله عنه)... ثم إنّ عمر لمّا صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الاحبار وأسلم وفرح عمر بإسلامه قال عمر (رضى الله عنه) له: هل لک أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى وتتمتع بزيارته، فقال لعمر يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلک، ولما قدم عمر

1- الامام السبكى، شفاء السقام : 56.
2- المصدر نفسه.

المدينة، أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله(1) .
6 ـ قال ابن بطة العكبرى الحنبلى (م/387هـ) فى كتاب الابانة عن شريعة الفرقة الناجية: «إنّ كل عالم من علماء المسلمين وفقيه من فقهائهم ألّف كتاباً فى المناسک ففصّله فصولاً وجعله أبواباً، يذكر فى كل باب فقهه، ولكل فصل عمله وما يحتاج إليه الحاج إلى عمله والعمل به قولاً وفعلاً من الاحرام والطواف والسعى والوقوف، والنحر، والحلق، والرمى، وجميع ما لا يسع الحاج جهله، ولا غنى بهم عن عمله، حتى زيارة قبر النبى فيصف ذلک فيقول: تأتى القبر فتستقبله وتجعل القبلة وراء ظهرک وتقول: السلام عليک أيّها النبىّ ورحمة الله وبركاته، حتى تصف السلام والدعاء ثم يقول: وتتقدم على يمينک وتقول السلام عليک يا أبا بكر وعمر. ـ إلى أن قال ـ : ولقد أدركنا الناس ورأيناهم وبلغنا عمّن لم نره أنّ الرجل إذا أراد الحج فسلم عليه أهله وصحابته قالوا: وتقرأ على النبى وأبى بكر وعمر منّا السلام فلا ينكر ذلک أحد ولا يخالفه(2) .

إطباق السلف والخلف على جواز السفر

جرت سيرة المسلمين على زيارة الرّسول ـ عند الوفود إلى الحج ـ بالمرور بالمدينة أو رجوعاً من مكة إليها، و هذا أمر ملموس وظاهر مشهود من الوافدين من كل فجّ عميق، وعلى ذلک جرت السيرة

1- الواقدى، فتوح الشام 1 : 244، طبعة دار الجيل، بيروت.
2- أبو عبد الله ابن بطة، فى الابانة عن شريعة الفرق الناجية ـ كما فى شفاء السقام : 60.

فی جمیع القرون، فلا یمکن لاحد إنکارها، بل هی کاشفة عن استحبابها عند الشرع، وهذا هو الامام السبکی یذکر سیرة المسلمین فی أیام الحج ویقول: إنّ الناس لم یزالوا فی کلّ عام إذا قضوا الحجَّ یتوجّهون إلی زیارته (صلی الله علیه وآله) ومنهم من یفعل ذلک قبل الحج، هکذا شاهدناه وشاهده من قبلنا، وحکاه العلماء عن الاعصار القدیمة، وذلک أمر لا یرتاب فیه، وکلّهم یقصدون ذلک ویعرجون إلیه، وإن لم یکن فی طریقهم، ویقطعون فیه مسافة بعیدة وینفقون فیه الاموال، ویبذلون فیه المهج، معتقدین أنّ ذلک قربة وطاعة. وإطباق هذا الجمع العظیم من مشارق الارض ومغاربها علی ممرّ السنین وفیهم العلماء والصلحاء، وغیرهم یستحیل أن یکون خطأً، وکلهم یفعلون ذلک علی وجه التقرّب به إلی الله عزّ وجلّ، ومن تأخّر عنه من المسلمین فإنّما یتأخّر بعجز أو تعویق المقادیر، مع تأسّفه وودّه لو تیسّر له، ومن ادّعی أنّ هذا الجمع العظیم مجمعون علی خطأ فهو المخطئ.

ومن نازع فی ذلک وقال فانّهم یقصدون من سفرهم زیارة المسجد، لا زیارة الرسول الاکرم، فلم ینصف وکابر فی أمر بدیهی فإنّ الناس من حین یعرجون إلی طریق المدینة، لا یخطر ببالهم غیر الزیارة من القربات إلاّ قلیلاً منهم، وغرضهم الاعظم هو الزیارة ولو لم یکن ربّما لم یسافروا، ولهذا قلّ القاصدون إلی بیت المقدس مع تیسّر إتیانه ولیس الصلاة فیه بأقل ثواباً من الصلاة فی مسجد النبیّ(1) .

1- الامام السبکی، شفاء السقام : 100و101.

ص: 65

حديث عدم شدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة

لقد تجلّى جواز السفر إلى زيارة النبىّ الاكرم ولم يبق فى المقام سوى ما رواه أبو هريرة عن رسول الله من عدم شدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة، وهو المستمسک الوحيد اليوم لمن يحرّم السفر، وإليک توضيحه:

إنّ الرواية نقلت بصور مختلفة، والمناسب لما يرومه المستدلّ الصورة التالية:

«لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام ومسجد الاقصى».

فتحليل الحديث يتوقّف على تعيين المستثنى منه وهو لا يخلو من صورتين:

1 ـ لا تُشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد...

2 ـ لا تُشدّ الرحال إلى مكان من الامكنة إلاّ إلى ثلاثة مساجد...

فلو كانت الأُولى كما هو الظاهر، كان معنى الحديث النهى عن شدّ الرحال إلى أى مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة، ولا يعنى عدم جواز شدِّ الرحال إلى أىّ مكان من الامكنة إذا لم يكن المقصود مسجداً، فالحديث يكون غير متعرض لشدّ الرحال لزيارة الانبياء والائمة الطاهرين والصالحين، لانّ موضوع الحديث إثباتاً ونفياً هو المساجد، وأمّا غير ذلک فليس داخلاً فيه، فالاستدلال به على تحريم شد الرحال إلى غير المساجد، باطل.

وأمّا الصورة الثانية: فلا يمكن الاخذ بها إذ يلزمها كون جميع السفرات محرّمة سواء كان السفر لاجل زيارة المسجد أو غيره من

الامكنة، وهذا لا يلتزم به أحد من الفقهاء.
ثم إنّ النهى عن شدّ الرحال إلى أىّ مسجد غير المساجد الثلاثة ليس نهياً تحريمياً، وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى فى سفر كهذا، وذلک لانّ المساجد الأُخرى لاتختلف من حيث الفضيلة، فالمساجد الجامعة كلّها متساوية فى الفضيلة، فمن العبث ترک الصلاة فى جامع هذا البلد والسفر إلى جامع بلد آخر مع أنّهما متماثلان.
وفى هذا الصدد يقول الغزالى: «القسم الثانى، وهو أن يسافر لاجل العبادة إمّا لحجّ أو جهاد... ويدخل فى جملته زيارة قبور الانبياء(عليهم السلام) وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء، وكلّ من يُتبرَّک بمشاهدته فى حياته يُتبّرک بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام ومسجد الاقصى»، لانّ ذلک فى المساجد، فانّها متماثلة (فى الفضيلة) بعد هذه المساجد، وإلاّ فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء فى أصل الفضل، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله(1).
يقول الدكتور عبد الملک السعدى: إنّ النهى عن شد الرحال إلى المساجد الاخرى لاجل أنّ فيه إتعاب النفس دون جدوى أو زيادة ثواب، لانّه فى الثواب سواء، بخلاف الثلاثة لانّ العبادة فى المسجد

1- الغزالى، إحياء علوم الدين 2 : 247، كتاب آداب السفر، ط دار المعرفة، بيروت.

الحرام بمائة ألف، وفی المسجد النبوی بألف، وفی المسجد الاقصی بخمسمائة فزیادة الثواب تُحبِّب السفر إلیها وهی غیر موجودة فی بقیة المساجد(1) .
والدلیل علی أنّ السفر لغیر هذه المساجد لیس أمراً محرّماً، ما رواه أصحاب الصحاح والسنن: «کان رسول الله یأتی مسجد قبا راکباً وماشیاً فیصلی فیه رکعتین»(2) .
ولعلّ استمرار النبی علی هذا العمل کان مقترناً لمصلحة تدفعه إلی السفر إلی قبا والصلاة فیه مع کون الصلاة فیه أقلّ ثواباً من الثواب فی مسجده.

إنّ لابن تيمية فى المقام كلمة فيها مغالطة واضحة، إذ مع أنّه قدّر المستثنى منه لفظ المساجد، إلاّ أنّه استدلّ على منع شدّ الرحال لزيارة قبور الانبياء والصالحين بمدلوله أى القياس الاولوى، فقال فى الفتاوى:
«فإذا كان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع باتفاق الائمة الاربعة بل قد نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) فكيف بالسفر إلى بيوت المخلوقين الذين تتّخذ قبورهم مساجد وأوثاناً وأعياداً ويشرک بها وتدعى من دون الله، حتى أنّ كثيراً من معظّميها يفضّل الحجّ إليها على

1- الدكتور عبد الملک السعدى، البدعة : 60.
2- مسلم، الصحيح 4 : 127 ـ البخارى، الصحيح 2 : 76 ـ النسائى، السنن 2 : 137، المطبوع مع شرح السيوطى.

الحج إلى بيت الله»(1) .
ولو صحّ ذلک النقل عن ابن تيمية ففی کلامه أوهام شتی إليک بيانها:
1 ـ قال: «إذا کان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع».
يلاحظ عليه:
من أين وقف على أنّ السفر إلى غير المساجد الثلاثة محرّم؟! وقد عرفت أنّ النهی ليس تحريمياً مولوياً وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى، ولاجل ذلک لو ترتّبت على السفر مصلحة لجاز کما عرفت فی سفر النبیّ إلى مسجد قبا مراراً.
2 ـ نسب عدم المشروعية إلى الائمة الاربعة، إلاّ أنّنا لم نجد نصّاً منهم على التحريم، ووجود الحديث فی الصحاح لا يدلّ على انّهم فسّروا الحديث بنفس ما فسّر به ابن تيمية.
ولا يخفى على الائمة ظهور الحديث فی الدلالة على عدم الجدوى، لا کون العمل محرّماً.
3ـ أنّ عدم جواز السفر إلى غير المساجد الثلاثة لا يکون دليلاً على عدم جوازه إلى (بُيوت أَذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ ويُذْکَرَ فِيها اسْمُهُ) (النور/36) إذ لا ملازمة بينهما، لانّه لا تترتب على السفر فی غير مورد الثلاثة أية فائدة سوى تحمّل عناء السفر، وقد عرفت أنّ فضيلة أی جامع فی بلد، نفسها فی البلد الاخر، وليس اکتساب الثواب متوقّفاً على السفر، وهذا بخلاف المقام فإنّ درک فضيلة قبر النبیّ يتوقف على السفر، ولا

1- ابن تيمية، الفتاوی ـ کما فی کتاب البدعة للدکتور عبد الملک السعدی.

يدرک بدونه.
4 ـ يقول: «إنّ المسلمين يتّخذون قبور الانبياء أوثاناً وأعياداً ويشرک بها» (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ) أفمن يشهد كلّ يوم بأنّ محمداً عبده ورسوله ويكرمه ويعظّمه لانّه سفير التوحيد ومبلّغه ـ أفهل ـ يمكن أن يتّخذ قبره وثناً؟!
5 ـ يقول: «تدعى من دون الله» إنّ عبادة الغير حرام لا مطلق دعوته، فعامة المسلمين حتى ابن تيمية يقولون فى صلاتهم: «السلام عليک أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته». والمراد من قوله سبحانه: (ولا تَدْعوا معَ اللهِ أحداً) (الجن/18) لا تعبدوا مع الله أحداً. قال سبحانه: (ادْعُونى أسْتَجِبْ لَكُم إنَّ الَّذينَ يَستَكْبرونَ عَنْ عبادَتى سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ) (غافر/60) فسمّى سبحانه دعوته: عبادة. فإذاً الدعوة على قسمين: دعوة عبادية إذا كان معتقداً بإلوهية المدعوّ بنحو من الانحاء، ودعوة غير عبادية، إذا دعاه على أنّه عبد من عباده الصالحين، يستجاب دعاؤه عند الله، والدعوة بهذا النوع تؤكّد التوحيد.
6 ـ نَقَل: «إنّ بعض المسلمين يفضّل السفر إلى تلک الاماكن على الحجّ إلى بيت الله» لكنّها فرية بلا مرية، وليس على وجه البسيطة مسلم واع يعتقد بهذا ويعمل عليه.
7 ـ لو كان السفر إلى القبور أمراً محرّماً فلماذا شدّ النبىّ الرحال لزيارة قبر أُمّه بالابواء وهى منطقة بين مكّة والمدينة، أفصار النبىّ ـ والعياذ بالله ـ مشركاً أو أنّ الرواية التى أطبق المحدّثون على نقلها مكذوبة، والله لا هذا ولا ذاک وإنّما...

8 ـ إنّ ما ذكره من أسباب المنع تتحقق للمجاور للقبر بدون شدّ الرحال، فاللازم منع ارتكاب المحرّمات عند قبره لا منع السفر إليه.
9 ـ احتمال أنّ المراد من زيارة القبور (زوروا القبور) هو زيارة جميع القبور بدون تخصيص لزيارة قبر مشخّص، احتمال ساقط وذلک لانّ «ال» (الجنسية) إذا دخلت على الجمع أبطلت جمعيته وصار المراد بالمدخول أىّ فرد يتحقق به جنس القبر ويستوى فى ذلک المفرد والجمع.
10 ـ كيف يقال ذلک مع أنّ السيدة عائشة (رض) كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن بخصوصه(1) حتى أنّ النبىّ يخصّ بعض القبور بالزيارة وقد وضع حجرات على قبر أخيه من الرضاعة عثمان بن مظعون وقال: «لتعرف بها قبر أخى» ولا تترتب على التعرّف فائدة سوى زيارته.

1- ابن قدامة، المغنى 2 : 270.

ص: 71

6 - شبهات حول زيارة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله

اشارة

استفاضت السنّة النبوية ـ كما مر ـ على استحباب زيارة الرسول، ودلّت السيرة القطعية طوال القرون، المنتهية إلى عصر الصحابة والتابعين، على أنّها من السنن المطلوبة، وأنّ شدّ الرحال إليها، كشدّ الرحال إلى سائر الأُمور المسنونة، وأكّد أعلام المذاهب على كونها أمراً قُرْبيّاً، لذا فالتشكيک فى جواز زيارة الرسول أشبه بالتشكيک فى أمر بديهى، ولا غرو فى التشكيک فيها، فقد شكک عدّة من فلاسفة الاغريق فى أبده الأُمور وأوضحها، حتى شكّوا فى كل شىء، بما فى ذلک ذواتهم وأنفسِهم، وتفكيرهم وتعقّلهم، حتى فى حرارة النار وبرودة الماء، ولولا قيام الحكماء الالهيين كسقراط، وبعده أفلاطون وأرسطو، فى وجوه هؤلاء المنسلخين عن الانسانية لعمّت الداء العمياء وجه البسيطة.

ص: 72
وما نذكره فى المقام من الشبه والتشكيكات لم يذكره ابن تيمية فى كتبه وإنّما نقلها الامام السبكى عن خطه، ويجتّرها أتباعه من دون وعى، وإليک بيانها وتحليلها.

الشبهة الأُولى: فى تقسيم الزيارة إلى شرعية وبدعية

إنّ زيارة القبور على قسمين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.
فالزيارة الشرعية يقصد بها السلام على الميّت والدعاء له إن كان مؤمناً، وتذكّر الموت سواء أكان الميت مؤمناً أم كافراً. والزيارة لقبر المؤمن نبياً كان أو غير نبىّ من جنس الصلاة على جنازته، يدعى له، كما يدعى إذا صُلّى على جنازته.
وأمّا الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراک بالميت، مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسّح بقبره أو تقبيله أو السجود له ونحو ذلک. فهذا كلّه لم يأمر الله به ورسوله ولا استحبّه أحد من المسلمين، ولا كان أحد من السلف يفعله، لا عند قبر النبى ولا غيره، ولا يسألون ميتاً ولا غائباً سواء كان نبياً أو غير نبى بل كان فضلاؤهم لا يسألون غير الله شيئاً(1).
يلاحظ عليه: بأمرين:
1 ـ حصر الزيارة فى قسمين مع أنّها ذات أقسام كما سنذكر.
2 ـ إدخال الأُمور الجانبية، كالاستغاثة والسؤال به أو منه فى ماهية

1- الامام السبكى، شفاء السقام : 124-125، نقلاً عن خط ابن تيمية.

الزيارة مع أنّها ليست منها، فصار هذا وذاک ذريعة لتبلور الشبهة لديه ولدى أتباعه. وها نحن نذكر معنى الزيارة وأقسامها ليتبيّن أنّ القسم الاخير الذى يقصد فيها الاشراک لا يمتّ لزيارة المسلمين بصلة قبور أكابر الدين ولعلّ الغاية من ذكره دعم الشبهة فى أذهان البسطاء.
فالزيارة فى اللّغة هو العدول عن جانب والميل إلى جانب آخر، قال ابن فارس: «الزور» أصل واحد يدل على الميل والعدول، ومن هذا الباب الزائر لانّه إذا زارک فقد عدل عن غيرک(1) .
ويظهر من غيره أنّه «بمعنى القصد» وهو لا يخالف ما سبق، لانّ الميل إلى جانب لا ينفک عن القصد، قال الطريحى: زاره يزوره زيارة: قصده فهو زائر، وفى الحديث من زار أخاه فى جانب المصر، أى قصد، وفى الدعاء: اللّهمّ اجعلنى من زوّارک إنى من القاصدين لک، الملتجئين إليک. والزيارة قصد المزور إكراماً له وتعظيماً واستئناساً به(2) .
والظاهر كما يظهر من ذيل كلامه أنّ معناها ليس مجرّد القصد بل القصد المنتهى إلى حضور الزائر لدى المزور لاحدى الغايات المذكورة فى كلامه، من التكريم والتعظيم والاستئناس به.
هذا هو معنى الزيارة وليس فيها شىء من الاُمور التى ذكرها ابن تيمية بل هى الحضور عن قصد لدى المزور لاحدى الغايات، وهى تختلف حسب اختلاف المزور شأناً، ومقاماً، ومهنة.
نعم فى إمكان الزائر أن يزور الرسول لاحدى الغايات التالية:

1- ابن فارس، مقاييس اللغة 3 : 36.
2- الطريحى، مجمع البحرين 1 : 305.

1 ـ أن يزور الرسول (صلى الله عليه وآله) لمجرّد تذكّر الموت والاخرة، وهذا ثابت فى زيارة جميع القبور من غير فرق بين الرسول وغيره بل المؤمن والكافر، ودلالة القبور على ذلک متساوية، كما أنّ المساجد ـ غير المساجد الثلاثة ـ متساوية لا يتعيّن شىء منها بالتعيين بالنسبة إلى هذا الغرض، ولا معنى لشدّ الرحال إلى المدينة لزيارة الرسول لتلک الغاية المتحققة فى زيارة كلّ قبر فى بلد الزائر النائى.
2 ـ أن يزور الرسول (صلى الله عليه وآله) للدعاء له، كما زار الرسول أهل البقيع، وهذا مستحبٌ فى حقّ كلّ ميت من المسلمين، ويتحققّ فى زيارته (صلى الله عليه وآله)إذا صلّى عليه، وطلب الدرجة الرفيعة له، كما ورد فى الحديث: كان علىّ(عليه السلام) يقول: اللّهمّ أعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديک نُزُلَه، وشرِّف عندک منزله، وآته الوسيلة، وأعطه السناء والفضيلة، واحشرنا فى زمرته(1) .
3 ـ أن يزوره (صلى الله عليه وآله) للتبرّک به لانّه ليس فى الخلف أعظم بركة منه وهو حىّ يرزق، والصلة بيننا وبينه غير منقطعة، وقد استفاضت الروايات على أنّه يسمع كلامنا، ويرد سلامنا، بشهادة أنّ عامة المسلمين، يسلّمون عليه فى تشهّدهم ويخاطبونهم بقولهم: السلام عليک أيّها النبىّ ورحمة الله وبركاته.
4 ـ أن يزوره (صلى الله عليه وآله) لاداء حقّه، فإنّ من كان له حقّ على الشخص فينبغى له برّه فى حياته، وبعد موته والزيارة من جملة البرّ لما فيها من الاكرام وليس إنسان أوجب حقّاً عليها من النبىّ.

1- نهج البلاغة، الخطبة 106.

هذه هى الغايات المتصوّرة فى زيارة النبىّ الاكرم. وأمّا الزيارة البدعية التى تحدّث عنها ابن تيمية وأسماها بدعية تارة وإشراكاً لله تعالى أُخرى، فهو ممّا أبدعها ابن تيمية وليس بين المسلمين من يسوِّى بين الله ورسوله، كما هو شعار المشركين، كما قال سبحانه حاكياً عنهم، (إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمين) (الشعراء/98)، والمسلمون بعامّة طوائفهم براء من الشرك وسماته وقد عرف سبحانه أهل الشرك بسمة خاصّة مذكورة فى آيتين، قال سبحانه: (ذلِكُمْ بِأنَّه إذا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرتُمْ وإنْ يُشرَكْ بِه تُؤْمِنوا فَالحُكْمُ للهِ العلىِّ الكَبيرِ) (غافر/12).
وقال تعالى: (إنَّهُمْ إذا قِيلَ لَهُمْ لا إلهَ إلاّ اللهُ يَسْتَكْبِرونَ) (الصافات/35) فلا تجد مسلماً عندما يزور النبىّ تحت قبّته الخضراء وفى مسجده يكون على تلك الحالة أى إذا دُعِىَ اللهُ وحدَه كفَر به، وإن يشرك به يؤمن به، أو إذا سمع لا إله إلاّ الله يستكبر عن عبادته.
ولا أدرى كيف تجرّى الرجل وحكم بشرك قاطبة المسلمين بمجرد أنّهم يطلبون منه الدعاء بعد رحيله، وكم من صحابىّ جليل، تكلّم معه وطلب منه الدعاء بعد وفاته.
1 ـ هذا أبو بكر: أقبل على فرسه من مسكنه بالسنخ حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلّم الناس حتى دخل على عائشة (رض) فتيمّم النبى (صلى الله عليه وآله) وهو مسجّى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله ثم بكى، فقال: بأبى أنت يا نبىّ الله لا يجمع الله عليک موتتين أمّا الموتة التى كتبت عليک فقد متَّها(1) .

1- البخارى، الصحيح 2 : 17، كتاب الجنائز.

فلو لم تكن هناک صلة بين الحياتين فما معنى قوله: «بأبى أنت يا نبىّ الله» فإن لم يسمع فماذا قصد ذلک الصحابى من قوله: «لا يجمع الله عليک موتتين».
2 ـ روى السهيلى فى الروض الانف: «دخل أبو بكر على رسول الله فى بيت عائشة ورسول الله مسجّى فى ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبى أنت وأُمى أمّا الموتة التى كتب الله عليک فقد ذقتها ثم لن تصيبک بعدها موتة أبدا»(1) .
3 ـ روى الحلبى فى سيرته وقال: «جاء أبو بكر من السنح وعيناه تهملان فقبّل النبىّ (صلى الله عليه وآله) فقال: بأبى أنت وأُمى طبت حيّاً وميتاً»(2) .
4 ـ روى مفتى مكة المشرّفة زينى دحلان فى سيرته فذكر ما ذكراه، وقال: قال أبو بكر: طبت حيّاً وميّتاً، وانقطع بموتک ما لم ينقطع للانبياء قبلک، فعظمت عن الصفة وجُلّلتَ عن البكاء، ولو أنّ موتک كان اختياراً، لجُدنا لموتک بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربک ولنكن على بالک(3) .
5 ـ قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) عندما ولى غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بأبى أنت وأُمى يا رسول الله لقد انقطع بموتک ما لم ينقطع بموت غيرک

1- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى 508 - 581هـ الروض الانف 4 : 260.
2- الحلبى على بن برهان الدين 975 - 1044هـ السيرة الحلبية 3 : 74، ط دار المعرفة، بيروت.
3- سيرة الزينى دحلان، بهامش السيرة الحلبية 3 : 391، ط مصر.

من النبوّة والانباء وأخبار السماء ـ إلى أن قال ـ : بأبى أنت وأُمى اذكرنا عند ربک واجعلنا من بالک»(1) .
إلى هنا تمّت الاجابة عن الشبهة الأُولى وأمّا ما ذكره فى ضمنها من أنّه ممّا لم يأمر به الله ولا رسوله فستوافيک الاجابة عنه فى تحليل الشبهة الثانية.

الشبهة الثانية: إنّ زيارة النبىّ بدعة

«إنّ زيارة النبىّ ليس مشروعاً وانّه من البدع التى لم يستحبّها أحد من العلماء لا من الصحابة ولا من التابعين ومن بعدهم».

يلاحظ عليه:

أنّ ما ذكره فيها هو نفس ما ذكره فى ذيل الشبهة الأُولى غير أنّه أضاف فى المقام كون الزيارة بدعة.

نقول: إنّ البدعة عبارة عن إدخال ما ليس من الدين فيه، والتصرّف فى التشريع بإيجاد السعة أو الضيق فيه، وهذا إنّما يتصور فيما إذا لم يكن فى المورد دليل، وقد عرفت تضافر السنّة النبوية، والسيرة القطعية المسلّمة بين المسلمين على زيارته ومع هذا كيف تصح لمسلم داع تسمية تلك بدعة.

ثم إنّ السلفى يطلق على من يقفو أثر السلف، وقد عرفت أنّ السلف منذ رحيل الرسول، دأبوا على زيارة قبره والتبرک به، حتى أنّ الخليفتين أوصيا بالدفن لدى النبىّ، لما فيه من التبرّک بتربته، فأين

1- نهج البلاغة : الخطبة 235.

وصف زيارته بالبدعة من عمل صحابته (صلى الله عليه وآله)، فقد تضافر عن ابن عمر أنّه كان يأتى قبر النبىّ فيسلّم عليه، أو أنّ عمر بن عبد العزيز يبرد البريد لزيارة الرسول نيابة عنه أو أنّ بلالاً، شدّ الرحال إلى المدينة لزيارة الرسول.
إنّ الحوار الدائر بين الامام مالک وأبى جعفر المنصور، يكشف الغطاء، ويجلّى الحقيقة:
روى القاضى عياض فى الشفاء بإسناده عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له مالک: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتک فى هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدّب قوماً، فقال: (لا تَرفَعُوا أصواتَكُمْ فَوقَ صَوتِ النَّبىِّ) (الحجرات/2)، ومدح قوماً فقال: (إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) (الحجرات/3) وذمّ قوماً فقال: (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونکَ مِنْ وراءِ الحُجُراتِ) (الحجرات/4). وانّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً، فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: ولِمَ تصرفُ وجَهک عنه وهو وسيلتک ووسيلة أبيک آدم (عليه السلام) إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله تعالى، قال الله تعالى: (ولو أنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءُوکَ فَاستغْفَروا الله) (النساء/64).
فانظر هذا الكلام من مالک رحمه الله وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسّل بالنبى (صلى الله عليه وآله) وحسن الادب معه(1) .

1- الامام السبكى، شفاء السقام : 70.

وأمّا التبرک بالقبر، أو الاقسام علی الله بأحد من خلقه والاستغاثة بالمیت، فالکل خارج عن ماهیة الزیارة، وإنّما هی اُمور جانبیة، لا تکون سبباً، لتسمیة الزیارة بدعة، علی أنّ الجمیع جائز بدلالة الکتاب والسنّة ولیست تربة النبی الاکرم بأقلّ من قمیص یوسف، حیث تبرّک به یعقوب فعاد بصیره، قال سبحانه: (اذْهَبُوا بِقَمیصی هذا فَألقوهُ علی وَجْهِ أبی یَأتِ بَصیراً وَأْتُونی بِأهلِکُمْ أجمعینَ... * فَلمّا أنْ جاءَ البَشیرُ ألقاهُ علی وَجهِهِ فارتَدَّ بَصیراً قالَ أَلَمْ أقُلْ لَکُمْ إنّی أعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمونَ) (یوسف/94-96).
ولیس ضریح النبیّ ومدفنه بأقل کرامة من تابوت بنی إسرائیل وما ترک آل موسی وآل هرون من قمیص وعصی وغیرهما، وکان بنو إسرائیل یتبرّکون به فی الحروب قال تعالی: (وقالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إنَّ آیةَ مُلْکِهِ أنْ یَأتِیَکُمُ التّابُوتُ فِیهِ سَکینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَبقِیَّةٌ مِمَّا تَرکَ آلُ مُوسی وآلُ هرونَ تَحمِلُهُ المَلائِکَةُ إنَّ فی ذلکَ لایةً لَکُم إنْ کُنتُمْ مُؤْمِنینَ) (البقرة/248) قال الرازی: إذا حضر (بنو إسرائیل) القتال قدّموه بین أیدیهم یستفتحون به علی عدوّهم، وکانت الملائکة تحمله فوق العسکر وهم یقاتلون العدوَّ فإذا سمعوا من التابوت صیحة استیقنوا بالنصر، فلمّا عصوا وفسدوا سلّط اللهُ علیهم العمالقة فغلبوهم علی التابوت وسلبوه، فلَما سألوا نبیَّهم البیّنة علی مُلک طالوت قال ذلک النبی: إنّ آیة ملکه أنّکم تجدون التّابوت فی داره(1) .

1- الرازی، مفاتیح الغیب 6 : 177.

إنّ الاستغاثة بالنبىّ والولى أحياءً وأمواتاً ترجع إلى طلب الدعاء منهم، فلو لم تكن للميت مقدرة على الاجابة يكون العمل لغواً لا شركاً، وليست الحياة والموت حدّاً للتوحيد والشرک حتى يكون خطاب الحىّ عين التوحيد وخطاب الميّت، نفس الشرک.
على أنّا قد ذكرنا استفاضة الاثر على أنّ الصحابة كانوا يستغيثون بنبيّهم، نبىّ الرحمة وقد ذكر موارده فلاحظ(1) .

الشبهة الثالثة: «إنّ الزيارة تؤدّى إلى الشرک»

هذه آخر ما فى كنانة الرجل من سهام مرشوقة وقد استدلّ عليه بما لا يمتّ إلى مدعاه بصلة، قال: إنّ من أُصول الشرک اتخاذ القبور مساجد كما قال بعض السلف فى قوله تعالى: (وقالُوا لا تَذَرُنَّ آلهتكُمْ ولا تَذرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ وَيعُوقَ ونَسْرا) (نوح/23) قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوّروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الامد فعبدوها.

يلاحظ عليه:

أنّ محور البحث هو الزيارة على ماجرت عليه سيرة السلف والخلف ولم تؤدى طوال القرون الاربعة إلى الشرک، ولم تكن عكوفاً على القبور ولا بتصوير تماثيلهم وعبادتهم مكان عبادة الله، فأىّ صلَة لهذا الكلام بمدعاه من تحريم الزيارة.

1- السبحانى، التوسل : 67 - 77.

إنّ زيارة قبر نبىّ التوحيد ورسوله، دعم للمبدأ الذى جاء به وتأكيد لصحّة رسالته التى كانت فى طريق تحطيم الوثنية وعبادة الانداد والامثال المزعومة، فكيف تقع مثلها ذريعة إلى الشرک ياترى؟!
يقول ابن زهرة:
«فإنّ التقديس الذى يتّصل بالرسل إنّما هو لفكرتهم التى حملوها، فالتقديس لمحمد (صلى الله عليه وآله) تقديس للمعانى التى دعا إليها، وحثّ عليها فكيف يتصوّر من مؤمن عرف حقيقة الدعوة المحمدية أن يكون مضمراً لاىّ معنى من معانى الوثنية وهو يستعبر العبر، ويستبصر ببصيرته عند الحضرة الشريفة والروضة المنيفة، فإذا كان خوف ابن تيمية من أن يؤدى ذلک إلى الوثنية بمضى الاعصار والدهور فإنّه خوف من غير جهة. لانّ الناس كانوا يزورون قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أوّل القرن الثامن ثم استمرّوا على هذه السيرة فى العصور من بعده إلى يومنا هذا، ومع ذلک لم ينظر أحد إلى هذا العمل نظرة عبادة أو وثنية ولو تفرّط أحد فهو من العوام ولا يمنع تلک الذكريات العطرة بل يجب إرشادهم لا منعهم من الزيارة وتكفيرهم»(1) .
قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى من علماء الازهر الشريف:
إنّ سعى ابن تيمية فى منع الناس من زيارة النبىّ (صلى الله عليه وآله) يدل على ضغينة كامنة فيه نحو النبىّ (صلى الله عليه وآله)، وكيف يتصوّر الاشراک بسبب الزيارة، والتوسّل فى المسلمين الذين يعتقدون فى حقّه أنّه عبده ورسوله

1- كلام ابن زهرة فى كتابه حول حياة ابن تيمية.

وينطقون بذلک فی صلاتهم نحو عشرين مرة فی کل يوم علی أقلّ تقدير، إدامة لذکری ذلک ولم يزل أهل العلم ينهون العوام من البدع فی کل شؤونهم، ويرشدونهم إلی السنّة فی الزيارة وغيرها إذا حدث منهم بدعة فی شیء، ولم يعدّوهم فی يوم من الايام مشرکين بسبب الزيارة أو التوسل، وأول من رماهم بالاشراک بتلک الوسيلة هو ابن تيمية وجری خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة فی النفس(1) .
وأمّا ما رواه إمام الحنابلة عن أبی هريرة عن النبی (صلی الله عليه وآله) أنّه قال: «اللّهمّ لا تجعل قبری وثناً، لعن الله قوماً اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(2) . فإنّ الحديث ـ إذا افترضنا صحة الاحتجاج به ـ لا صلة له بالزيارة، وإنّما يهيب بالّذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجد، يصلّون إليها ـ إذا اتّخذوها قبلة ـ أو لها، إذا عبدوها. ويدل علی ما ذکرنا ما روی أيضاً من أنّه (صلی الله عليه وآله) قال: «اللّهم لا تجعل قبری يصلّی إليه فإنّه اشتدّ غضب الله علی قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(3) .
(وکَفی بِرَبِّکَ هادِياً ونَصيراً) (الفرقان/21)

1- تکملة السيف الصقيل : 156.
2- الامام أحمد، المسند 2 : 246.
3- کنز العمال 2 : برقم 3802.

ص: 83

7ـ تذكرة و إنذار

إنّ لزيارة العظماء والقدّيسين، أصحاب الرسالات آثاراً إيجابيةً تعود تارة إلى الزائر وأُخرى إلى المزور.
أمّا الأُولى:
فلانّ الزيارة صلة بين الكامل ومن يروم الكمال، فالدوام على مواصلته محاولة للتخلّق بأخلاقه، واتّباع منهجه وتجديد العهد معه، ولذلک لا تجد إنساناً وَقف أمام قبر النبىّ الاَكرم (صلى الله عليه وآله) وزاره إلاّ ويتأثّر بشخصه و شخصيّته، وإن كان التأثّر قليلاً مؤقّتاً، فزيارتهم تقترن غالباً بذرف الدموع، والعطف والحنان على المزور، وهى لا تنفک عن تحوُّل نفسىّ وأخلاقىّ وحبّ ووُدٍّ لهم، وبالتالى شعوره بقربه منهم ومشاطرته لاهدافهم، إلى غير ذلک من الاثار الايجابية التى تعود على الزائر والتى أشرنا إليها فى تمهيدنا الذى تصدّرت هذه الرسالة به، ولا نعود إلى تلک الاثار التى تعود إلى الزائر.

أمّا الثانية:
أعنى الاثار الايجابية التى تعود إلى المزور فهذا هو المقصود فى بياننا، وهو أنّ زيارة العظماء هى تخليد لذكراهم، وتجسيد لرسالاتهم فى الاذهان، وبالتالى تكون سبباً لبقائهم أحياءً فى كلّ عصر، وقرن، لا يتسرّب إلى وجودهم ورسالاتهم وبطولاتهم أدنى ريب وشكٍّ، فبذلک يتجلّى المزور فى كل زمان حيّاً فى القلوب وفى المجتمع، كما لو كان موجوداً بشخصه فى زمن الزائر، فكأنَّ الزيارةَ استمرار لبقائهم فى القلوب تجلى الصدأ عنها، وتتجلّى صحة وجودهم للخلف كما تجلّت للسلف وتكون بمنزلة الدليل على وجودهم ورسالاتهم وبطولاتهم.
فلو حذفنا الزيارة من قاموس حياتنا و تركنا مزارهم وأقفلنا أبواب بيوتهم ولم نهتمّ بآثارهم طوالَ قرون، فقد جعلنا آثارهم فى مهبِّ الفناء والتدمير، وبالنتيجة التشكيک فى أصل وجودهم وبعثهم، وبالتالى تصبح تلک الشخصيات بعد قرون أساطيرَ تاريخية للخلق، فيتلقّون النبىّ والامام بل الانبياء كلّهم قصصاً تاريخية نسجتها يدُ الخيال، كما هو الحال فى كثير من القصص التاريخية التى أصبحت تُروى على ألسن الاطفال وفى المنتديات.
إنّ الانسان الغربىّ يتمتّع فى حياته بكلّ ما هو غربىّ إلاّ الدين والمذهب، فإنّ مذهبه شرقىّ، لانّ المسيح وليد الشرق ومبعوثه سبحانه إلى أرض فلسطين وغيرها وبما أنّ الغربىّ لا يجد أثراً ملموساً للمسيح فى حياته فمثلاً ليس له قبر حتى يُزار ولا لأُمّه قبر حتى يُنسب إليها، ولا لكتابه صورة صحيحة يؤمن به، ولا لتلاميذه وحوارييه آثار ملموسة، فلذلک صارت الديانة المسيحية أُسطورة تاريخية فى نظر الغرب

وشبابه المثقّفين بعد ألفى عام وإن كان الشيوخ والعجائز يُؤمنون به إيماناً تقليديّاً لا علمياً، فالجُدد منهم مسيحيّون فى هويّاتهم الشخصية لا فى هوياتهم العقلية والفكرية، وممّا أثّر فى ذلک هو فقدان كلّ أثر ملموس عن سيّدنا المسيح فى حياتنا البشريّة، ولولا أنّ القرآن الكريم جاء بذكره ورسالته ومواقفه لكان الشک متسرِّباً إلى أذهاننا وأفكارنا.
وهذا بخلاف ما لو كان له أثر ملموس يُزار بين آونة وأُخرى، وتشدُّ الرحال إليه عندئذ لكانت الديانة المسيحية حيّة نابضة بلا شک وريب.
ومن الاسباب والوسائل التى أضفت على الاسلام حيوية وعلى نبيّه بقاءً فى القلوب وعلى مواقفه وبطولاته خلوداً فى الاذهان والضمائر، هو وفود المسلمين فى كلّ شهر وسنة إلى موطنه (مكّة) و مهجَرِه (المدينة) وزيارة قبره وآثاره وقبور أولاده وأصحابه ومشاهدة مولده ومبعثه وما يمتُّ إليه بصلة طوال حياته، حيث أضفت هذه الوفادة المستمرة على وجوده ورسالته نوراً وضياءً، وواقعية تُذهِب كلّ ريب وشكّ وتقرّ فى النفوس عظمته وبطولاته.
وإذا كانت الذكرى ناقوساً فى وادى النسيان يذكّرک الحبيبَ ويرِنُّ فى أسماعک جماله وكماله، فزيارته والمثول أمام آثاره وعظمته تُؤثر فى خلوده وبقائه فى النفوس وتزيل غبار النسيان عنه. لذا نرى أنّ الفقهاء أفتوا بأنّه يجب على الحاكم الاسلامى تجهيز المسلمين من بيت المال وإرسالهم إلى الحجّ اذا خلت الكعبة عن الزوار لئلاّ تُنسى وحتى تبقى خالدة فى قلوب المسلمين ومهوى أفئدتهم، فكذلک قبور الانبياء والمرسلين وفى مقدّمتهم سيّدنا سيد الرسل نبيّنا الاكرم عليه صلوات

الله وعلى آله ومن تبعه بإحسان، وذلک لانّ هجرة قبورهم وعدم الاهتمام بها تمهيد لنسيانهم ورسالاتهم وبالتالى القضاء على الاسلام.
* * *
أخى القارئ الكريم; لقد عالجت مسألة الزيارة معالجة علميّة فى ضوء القرآن والحديث الصحيح وقضاء الفطرة الانسانية، فلم يبق فى رجحان الزيارة واستحبابها شرعاً شكّ ولا ريب، وقد تعرفت على آثارها الايجابية للزائر والمزور، وقد أزحنا بعضَ الاشواک النامية فى هذا الطريق، فعلى المشرفين على القبور والاضرحة ونخصّ بالذكر قبرَ سيد البشر ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ استقبال الوافدين عليها بوجوه مشرقة مرَحِّبين بضيوف النبى مهيّئين الاجواء الودّية المناسبة للزيارة، وحشد كلّ الامكانات المادّية والمعنوية لاقامتهم فى مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)إقامة مقرونة بالارتياح.
ولا تفوتنا الاشارة هنا إلى واجب الخطباء والعلماء فى إرشاد المسلمين وتوجيههم إلى الاداب الصحيحة للزيارة وتذكّرهم بما ينفعهم فى الدنيا والاخرة، حتى يتلقّى الزائر أنّ الحضور فى مزاره الشريف وسيلة للتذكرة به وهى لا تنفک عن العمل بشريعته ودينه وسنّته والتخلّق بأخلاقه.
نحمده سبحانه ونستعين به وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
جعفر السبحانى
24 محرم عام 1416

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِـساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدً ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثـّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِـهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا

فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

